المفتاح الثامن عشر

فى اثبات الحشر الجسمانى و بعث الابدان ، و ما وعده الشارع واوعد عليه ، من القبر والكتاب والميزان والجنة والنار و غيرذلك ، و فيه مشاهد :

المشهد الاول

فى اثبات النشأة الثانية للابدان، اثباتها على نمط البرهان يستدعى اصولا

الاصل الاول

ان تقوم حقيقة كل شىء طبيعى و ماهيته بصورته و مبدأ فصله الاخير، لابمبادى اجناسه و فصوله العالية والمتوسطة ، ان كانت فانها بمنزلة اللوازم، و كذا وجودكل مركب طبيعى بصورته الكمالية ، و انما الحاجة الى المادة الحاملة لصورته لاجل قصور وجوده عن التفرد بذاته ، دون الافتقار الى حامل يحمله او يحمل عوارضه ، فان مادة الشىء هوالقوة الحاملة لحقيقة ذاته اى وجوده ، و نسبتها الى الصورة نسبة النقص الى التمام ، و ان المادة و ما يجرى مجراها انما هى معتبرة فى الشىء المادى على وجه الابهام ، فان اعضاء الشخص و بدنه ابداً فى التحول و التبدل بالحرارة المستولية عليها من نار الطبيعة ، والشخص هو هو بعينه من اول الصبى الى اخرالعمر نفساً و بدناً ، اذ هذية البدن من حيث هو بدن انما هى بالنفس المتعلقة بها التى هى صورة تمامية البدن ،كذا هذية اعضائه كهذه اليد و هذه الاصبع

و غيرهما من الاعضاء ، اذ كلها منحفظة الهوية باضافتها الى هوية النفس، و ان تبدلت امشاجها و امزجتها بحسب جرميتها .

الاصل الثانى

ان تشخص كل شىء عبارة عن وجوده الخاص به مجرداً كـان او جسمانياً ، و اما الاعراض التى تسمى بالمشخصات عندهم فهى من لوازم الشخصية لامن مقومات الشخص ، و يجوز ان يتبدل كمياته و كيفياته و اوضاعه و ازمنته و ايونه تبدلا من صنف الى صنف ، و من نوع الى نوع ، والشخص هو هو بعينه .

الاصل الثالث

ان الشخص الواحد الجوهرى مما يجوز فيه الاشتداد الاتصالى من حد نوعى الى حد نوعى اخر ، كالسواد اذا اشتد ، و كلما بلغ الى درجة اشد و اقوى من الكون، يكون هى اصل حقيقته، و مادونها من فروعه ولوازمه، بل الوجود كما مر مراراً كلما كان اقوى كان اكثر حيطة بالمراتب ، و اوفرسعة وابسط جمعية للدرجات ، او لاترى كيف يفعل الحيوان افاعيل الجماد والنبات ، مع ما يختصه كالاحساس و الارادة ، و يفعل الانسان افاعيلها جميعاً مع النطق والعقل ، يفعل الكل بالانشاء ، والبارى يفيض على الكل مايشاء .

الاصل الرابع

ان الصور و المقادير كما يحصل من الفاعل بحسب استعداد المادة كذلك قد يحصل منه بلا مشاركتها فى غير هذا العالم ، كوجود الافلاك من المبادى الفعالة ، و هى الملائكة الامرية حيث وجدت بتلك الكلمات التامات على سبيل القول والامر والانشاء والابداع هذه الاجرام العالية، و اوجبتها تصورات تلك المبادى بلاشركة الهيولى باستعدادها ، اذ لامادة ولا استعداد قبل وجود تلك الاجساد ، و من هذا القبيل الصور الانشائية

الحاصلة من النفس بقوتها الخيالية فى صقع اخر من الاشكال و الاعظام والاجرام ، التى هى كالافلاك العظيمة باعداد كثيرة من الجسمانيات ، فانها ليست قائمة بالجرم الدماغى ولا فى هذا العالم ولا فى عالم العقول المحضة ولا فى عالم الاشباح الكلية ، بل فى عالم النفس و حضرتها ، الخارجة عن هذا العالم الهيولانى ، ولا شبهة فى ان ما يتصوره النفس بقوتها المصورة و يراه و يشاهده بباصرتها الخيالية ، لها وجود لترتب الاثر عليه ، والوجود مبدأ الاثر ، و ربما كان المرئى فى الباطن اشد اثراً من المرئى فى الظاهر، فان لم يكن اثره دائما .

ولعمرى لو كان شهود النفس اياه دائماً لكان اثره و فعله دائماً ، الا ان النفس ينصرف عن شهود مايراه فى النوم اذا استيقظت من نومه لشواغل الحواس، والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، والانتباه الحاصل للنفس فى الاخرة بالموت انتباه لانوم بعدها ، فما يراه عند ذلك اقوى تأثراً و اشد التذاذاً و ايلاماً من هذه المحسوسات التى يراها فى الدنيا ، ولو فرض ارتفاع هذه الشواغل و اجتماع الهمة و قوة العزيمة و انحصار القوى فى المتخيلة، يكون تلك الصور اشد حضوراً و كشفا للنفس مما يراه بهذه الحواس و يسمعها و يذوقها و يلمسها ، و يكون تلك القوة الواحدة حساً مشتركاً يبصر و يسمع و يذوق و يشم و يلمس ، و يكون بوحدتها قوة دراكة و قدرة فعالة ، فيصير القوة فعلا ، و ينقلب العلم فى حقهم عينا ، والتخيل مشاهدة والغيب حضوراً.

الاصل الخامس

انك قد علمت ما الهمنى الله به : من ان القوة الخيالية والجزء الحيوانى من الانسان جوهر مجرد عن هذا البدن الحسى العنصرى والهيكل المحلول البشرى ، فهى عند تلاشى هذا القالب المركب واضمحلال اعضائه والاته باقية غير داثره ، و مع ذلك غير مجردة عن التشكل والتمثل المقدارى ، واليه الاشارة بقوله : و اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم[1] عبر عن النفس الحيوانية للفجار بالدابة ، تنبيهاً على انها مبعوثة على تلك

١ـ نمل ٨٢

الهيئة .

الاصل السادس

ان الله تعالى قد خلق النفس الانسانية بحيث من شأنها تصوير الحقائق فى ذاتها ، و انشاء الصور الغائبة عن الحواس فى عالمها من غير مشاركة المواد ، و كل صورة تصدر عن الفاعل لابواسطة المادة ، فحصولها فى نفسها عين قيامها بفاعلها و حصولها له ، وليس من شرط الحصول الاتصاف والحلول فان صور الموجودات قبل وجودها فى المواد القابلة قائمة بذات الله من غير اتصافه بها و حلولها فيه ، و ان حصولها لفاعلها اوكد من حصولها للقابل، فاذن للنفس فى ذاتها عالم خاص بها من الجواهر والاعراض والاجرام الفلكية والعنصرية والانواع الجسمانية والمجردة .

قال بعض اكابر العرفاء : كل انسان يخلق بالهمة فى قوة خياله مالا وجود له الافيها ، والعارف يخلق بالهمة ما يكون له وجود فى خارج[۲] محل الهمة ، ولكن لايزال الهمة يحفظها[۳] ولايؤدها حفظه ما خلقته[۴] فمتى طرء على العارف غفلة من حفظ ما خلق ، عدم ذلك المخلوق ، انتهى .

و اقول : ان هذا القدرة التى يكون لاصحاب الكرامات و هم فى الدنيا، بعد من احضار الصور الغائبة بقوة العزيمة ، يكون لعامة الناس فى الاخرة، لخروجهم عن غبار هذه النشأة الطبيعية ، الا ان السعداء و اصحاب اليمين لصفاء قلوبهم و حسن اخلاقهم يكون قرينهم فى الاخرة الصور الجنانية من الحور والقصور والحوض والشراب الطهور ، و فاكهة كثيرة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، و سرر مرفوعة و اكواب موضوعة ، و اما الاشقياء و اصحاب الشمال فلخبث بواطنهم ورداءة اخلاقهم و كدورة ذواتهم يكون ما حضرهم فى القيامة النار السموم و الحميم والزقوم والعقارب والحيات، و كما ان الاعمال مستتبعة للملكات فى الدنيا بوجه ، فالملكات مستلزمة للاعمال فى الاخرة بوجه ، و ما يحصل فى دار المعاد من الصور اشد تاثيراً

۲ــ من خارج (فصوص) ۳ــ يحفظه (فصوص)

۴ــ حفظه، اى حفظ ما خلقته (فصوص)

للعباد ايلاماً والذاذاً من هذه المحسوسات الموذية و الملذة هاهنا ، كيف و ربما يكون المحلوم به فى المنام اقوى تأثيراً فى بابه من المرئى فى اليقظة، فما ظنك فى الصور الاخروية مع صفاء المحل و قوة الفاعل و عدم الشاغل و ذكاء المدرك وحدة البصر ، كما دل عليه قوله تعالى : فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[٥] .

فهذه اصول يبتنى عليها معرفة المعاد الجسمانى ، فاذا تمهدت و تقررت انكشف ان المعاد فى المعاد هذا الشخص بعينه نفساً و بدناً ، و ان تبدل خصوصيات البدن من المقدار والوضع و غيرهما لايقدح فى بقاء شخصية كما عرفت ، حتى انك اذا رأيت انساناً فى وقت سابق ثم تراه بعد مدة كثيرة ، و قد تبدلت احوال جسمه جميعاً بخصوصياتها ، امكنك ان تحكم عليه بانه ذلك الانسان ، فلا عبرة بتبدل المادة البدنية بعد انحفاظ الصورة النفسانية ، وكذا الحال فى تشخص كل عضو كالاصبع ، اذ له اعتباران : اعتبار كونه عضواً مخصوصاً لزيد ، والة مخصوصة لنفسه ، و اعتبار كونه فى ذاته جسماً من الاجسام ، واسم الاصبع واقع عليه بذلك الاعتبار ، فتعينه بالاعتبار الاول باق مادامت النفس يتصرف فيه و يحفظ مزاجه و يستعمله و يقلبه كيف يشاء، و تعينه بالاعتبار الثانى زائل لاجل الاستحالات الواقعة فيه .

و قد ورد فى الحديث عنه صلى‌الله عليه واله : ان ضرس الكافر فى الجحيم كجبل احد، فبعد حشر النفوس وتعلقها باجساد اخرى من جنس الدار الاخرة ليس لاحد ان يقول : ان هذا البدن المحشور غير البدن الذى قدمات و ليس له ايضاً ان يقول : هذا بعينه ذاك ، نظراً الى الاعتبارين ، فان قال احد : هذا من الذهب و ذلك من النحاس ، فيكون غيره فصدق ، فان قال: ذلك النحاس صار بالاكسير فى كورة جهنم هذا الذهب ، فهذا ذاك فصدق، فجوهرية العبد فى الدنيا والاخرة و روحه باق ، مع تبدل الصور عليه من غير تناسخ ، و كل ما ينشأ من العمل الذى كان يعمله فى الدنيا والاخرة[٦] يعطى لقالبه جزاء ذلك فى الاخرة ، ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين[٧] .

٥ـ ق ٢٢

٦ـ كذافى جميع النسخ، والظاهر والاخرةزائد . ٧ـ انبياء ١٠٦

و حاصل هذا البرهان على حشر الابدان: ان النفوس الانسانية باقية بعد موت هذا البدن الطبيعى كما مر، و ليس للمتوسطين درجة الارتقاء الى عالم المفارقات العقلية، ولا التعلق بابدان عنصرية بالتناسخ، ولا بالاجرام الفلكية على احد من الوجهين اللذين ابطلناهما، ولا التعطيل المحض، فلا محالة يكون لها وجود لافى هذا العالم المادى ولا فى عالم التجرد المحض، فهى موجودة فى عالم متوسط بين التجسم المادى والتجرد العقلى.

المشهد الثانى

فى وجوه الفرق بين الدنيا والاخرة فى نحو الوجود الجسمانى

الاول: ان القوة هاهنا لاجل الفعل، فيتقدم عليه بوجه، والفعل هناك متقدم على القوة ولاجلها.

الثانى: ان الفعل اشرف فى هذا العالم من القوة، والقوة فى الاخرة اشرف من الفعل، لان هذا العالم دار الانتكاس.

الثالث ان اجساد هذا العالم قابلة لنفوسها على سبيل الامكان و الاستعداد، ونفوس الاخرة فاعلة لاجسادها على سبيل الاستيجاب والاستلزام، فهاهنا يرتقى الابدان بحسب تزايد استعداداتها الى حدود النفوس، و فى الاخرة يتنزل النفوس فيتشبح[8] منها الابدان.

الرابع ان الابدان المكونة هاهنا تدريجية الحدوث، غاية كونها غير بدء كونها، والابدان فى الاخرة دفعية الحدوث، بدؤها و غايتها واحد.

الخامس ان اعداد الابدان كاعداد النفوس غير متناهية هناك، اذ ليس بممتنع غير المتناهى فى غير الوضعيات المادية، لعدم التراحم والتصادم و نفى الترتيب الوضعى والعلى.

السادس ان لا اشتراك فى جسم واحد لعدة متصرفات من النفوس، و لكل انسان سعيد فى الاخرة عالم تام فى نفسه لاينتظم مع غيره فى دار واحدة، و لكل احد من اهل السعادة ما يريده و يحضر عنده كل ما يشتهيه، و كل من يرغب فى صحبته فى لحظة واحدة بمجرد فلتة خاطره و شهوة نفسه، و

٨ـ فينشبح (ن م)

هذا اقل مراتب اهل الجنان ، فالعوالم هناك غير متناهية ، عرض كل منها كعرض السموات والارض بلا مزاحمة شريك ولا مساهمة مباين .

المشهد الثالث

فی تحقق ما سلف من کون کل مؤمن له عالم فی الاخرة مثل هذا العالم الجسمانی و اکبر منه، من غير ان يتزاحم العوالم

و اعلم ان اعضل شبه الجاحدين للمعاد الجسمانی ، و اعظم اشكالات المنكرين للجنة و النار ، المحكوم[٩] بصحتها فى الشريعة الناموسية والحكمة المؤسسية الاقتباسية : هو طلب الحيز و المكان لهما ، و استيجاب كونهما فى جهة من الجهات الامتدادية لهذا العالم و فى زمان من الازمنة المتقدرة بحركات هذه الاجرام السماوية ، واستلزام كونهما داخل حجب السموات و تحت حيطة محدد الجهات و عرش المتماديات ، سيما و قد صرح معلم الفلاسفة ان العالم الجسمانی لايمكن ان يكون اكثر من واحد ، و زعمهم ان لو كان فى الوجود عالمان جسمانيان يجب ان يكون احدهما داخلا فى الاخر ، والاخر محيطا به ، لاستحالة الخلاء بينهما .

ولعمری ان ما ذكره انما يلزم لو فرض العالمان مكانيين من جنس هذه الامكنة المادية .

فالجواب عن اصل هذه الشبهة و انقلاع مادتها وانفساخ صورتها هو ان يقال على طريقة ابحاث المتألهين و انظار السالكين الى الله ، باقدام الافكار و مراكب الانظار : ان حجتكم مبتنية على ان للجنة والنار مكانا من جنس امكنة هذه الدنيا ، لكن اصل اثبات المكان على هذا الوجه للجنة والنار باطل ، فالشبهة منهدمة الاساس منحسمة الاصل منفسخة القياس .

لانا نقول أولا : ان عالم الاخرة عالم تام لا يخرج عنه شیء من جوهره ، و ما هذا شأنه لايكون فى مكان ، كما ان ليس لمجموع هذا العالم المأخوذ بجملة ما فيه ، حتى النسب والاوضاع والايون و الازمنة ، مكان يمكن ان يقع اليه اشارة وضعية من خارجه او داخله ، لان مكان الشیء انما يتقرر بحسب

٩ـ والظاهر: المحكومان بصحتهما

نسبته اليه و اضافته الى ما هو مباين له خارج عنه ، و ليس في خارج هذا العالم شيء من جنسه ، والا لم يوجد بتمامه ، ولا في داخله ايضاً ما يكون مفصولا عن جميعه اذا اخذ بهذه الحيثية ، فلا اشارة حسية اليه عند اخذه تاماً كاملا لامن خارجه و لامن داخله ، فلا يكون له اين ولا وضع ، و لهذا المعنى حكم المعلم الاول لهم : بان العالم بتمامه لامكان له ، و لهذا حكم بان لاثانى له من جنسه.

فقد اتضح ان ما يكون عالما تاماً فطلب المكان له باطل ، والمغالطة هاهنا نشأت من قياس الجزء الى الكل، والاشتباه حصل بين الناقص والكامل فالحق ان الدار الاخرة مع هذه الدار لاينتظمان فى سلك واحد ، بل كل واحد منهما مباين الجوهر والذات للاخر، غير منسلك معها فى سلك واحد، ولايجمعها دار واحدة ، لاستقلال كل منهما و تمامه ، فحينئذ طلب المكان له غير صحيح ، اولا ترى بان اهل العالم متفقون على قولهم : هذا العالم و ذلك العالم ، حسبما ورد من[١٠] رؤساء النوع من اهل السفارة والعصمة ، و ليس هذا الاطلاق من قبيل قولهم عالم العناصر و عالم الحيوان و عالم الانسان ، لان هذه مجازية على سبيل التشبيه او الاشتراك، و اما اطلاقه عليهما فليس كذلك، فان الدنيا والاخرة لولم يكونا عالمين تامين، فليس فى الوجود عالم تام ، لان المجموع ليس منتظما فى سلك واحد الابان يكون احدهما باطن الاخر و الاخر ظاهره ، و هذا كلام آخر فيه غموض ، فاذا لم يكونا مع مباينة كل منها للاخر فى الوجود مما يشملها عالم اخر ، فلا محالة كل منها عالم تام ، كما اطلق القول عليه فى السنة الشريعة : ان لله عالمين الدنيا و الاخرة .

و مما يوضح القول بان الدار الاخرة ليست من جنس هذا العالم ، ان الاخرة نشأة باقية بما فيها ، يتكلم فيها مع الله ، و هذه نشأة داثرة بايدة اهلها ، هالكة ذويها ، لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولما ذكرنا ايضاً من الوجوه الفارقة بين اجسام الدنيا و اجسام الاخرة ، و اختلاف اللوازم يدل على اختلاف الملزومات ، و اما مكالمة

١٠ـ جسماً و رثوا من (ن ل) جسماً ودثوراً من (ن م)

الانبياء عليهم السلام مع الله و مخاطبة سيد المرسلين صلى الله عليه واله معه ليلة المعراج ، فهى من ظهور سلطان الاخرة على قلوبهم ، و مما يدل ايضاً على ذلك قوله تعالى : و ننشئكم فيما لا تعلمون[١١] فانه صريح فى ان النشأة الاخرة غير نشأة الدنيا ، و لهذا ليست حقيقتها معلومة الا للكمل من الاولياء، الذين انقلبت نشأتهم الى تلك النشأة ، و اما غيرهم سيما اهل التقليد فليس عندهم من الاخرة و صورها الموجودة فيها الا الالفاظ الموضوعة شرعا ، لاجل التمثيل عنها من غير دلالتها لهم على خصوص معانيها ، كما اخبر عنه سبحانه بقوله : فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين[١٢] قال ابن عباس رضى الله عنه : ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسماء ، كذا ذكر فى معالم التنزيل البغوى .

وبالجملة فنحو وجودى الدنيا و الاخرة مختلفان فى جوهر الوجود، ولو كانت الاخرة من جوهر الدنيا لم يصح ان الدنيا يخرب و الاخرة يبقى، فهذا الوجود يخالف وجود الاخرة ذاتا وجوهراً، والا لكان القول بالاخرة تناسخاً ، ولكان المعاد عبارة عن عمارة الدنيا بعد خرابها ، و اجماع العقلاء منعقد على ان الدنيا يضمحل و يفسد ثم لاتعود ابداً ولا تعمر ابداً ، و اكثر اهل الزهادة و العبادة من غير العارفين معرفة حقة الهية، يتصورون لذات الاخرة و نعيمها من جنس لذات الدنيا و نعيمها ، الا ان تلك الذ وادوم، فهم بالحقيقة طلبة الدنيا و عشاق الشهوات و الهواء على اكد وجه و اقوى، وهم عند انفسهم انهم فى طلب مرضات الله والتقرب اليه .

فاذا ثبت و تحقق هذا ظهر ان لانسبة بين هذا العالم و عالم الاخرة بحسب الواضع والمكان ، لان كلا منهما تام برأسه ، و كذا الكلام فيما اذا كان عالمان اخراويان ، بل يجوز فى الوجود تعدد العوالم الاخروية بان يكون كلا منهما عالماً تاماً كمامر، من ان لكل من اهل السعادة عالماً مثل هذا العالم بل اكثر ، فافهم متوسعاً قدرة الله .

١١ــ واقعة ٦١ ١٢ــ سجده ١٧

المشهد الرابع
فی الاشارة الی مذاهب الناس فی امر المعاد

ان من الاوهام العامية و الاراء الزايفة اعتقاد جماعة من الملاحدة و الدهرية، وطائفة من الطبيعين والاطباء ممن لا اعتداد بهم فی الفلسفة ولا نصيب لهم من الشريعة، ذهبوا الی نفی المعاد، و استحالوا حشر النفوس والاجساد، زعماً منهم ان الانسان اذا مات فات، و ليس معه معاد كغيره من افراد الحيوان والنبات، و هؤلاء من ارذل الناس رأياً و اسخفهم مذهباً، والمنقول من جالينوس التوقف فی امر المعاد لتردده فی امر النفس، هل هی صورة المزاج فيفنی، ام صورة مجردة فيبقی؟ ثم ان المتشبثين منهم باذيال العلماء، من ضم الی انكاره له ان المعدوم لايعاد، فيمتنع حشر الموتی.

و اما المتكلمون فمنعوا هذا تارة بتجويز اعادة المعدوم، و اخری بمنع فناء الانسان بالحقيقة، لان حقيقة الانسانية عبارة عن اجزاء اصلية وهی باقية، اما متجزية او غير متجزية، ثم حملوا الايات والنصوص الواردة فی اثبات الحشر علی ان المراد جمع المتفرقات من اجزاء الانسان التی هی حقيقية[13] فهؤلاء التزموا كما ذكر بعض الفضلاء لاحد امرين مستبعدين، والسكوت خير من الكلام ممن لايعلم.

و انا اقول: رأس جميع المنكرات القبيحة والعقائد الفاسدة من المنتسبين الی العلم والشريعة، انكار تجرد النفس و عالم الملكوت، وعدم الايمان بعالم الغيب، و حصر العوالم فی هذا، عالم الحس والشهادة، وهذا بالحقيقة صفة اليهود فی الامم السالفة، من انكارهم لعالم الغيب والملكوت، و عداوتهم للملائكة كجبرئيل و ميكائيل، كما اشار اليه تعالی بقوله: من كان عدواً لجبريل فانه نزله علی قلبك[14] فاتفق المحققون من الفلاسفة و المحقوق من اهل الشريعة علی ثبوت المعاد، و وقع الاختلاف منهم فی كيفيته، فذهب جمهور المتكلمين و عامة الفقهاء الی انه جسمانی فقط، بناء علی ان الروح جسم لطيف سار فی البدن، و جمهور الفلاسفة الی انه روحانی فقط، و ذهب كثير من الحكماء المتألهين و مشايخ العرفاء فی

١٣– حقيقته (ن ل)   ١٤– بقره ٩٧

هذه الملة الى القول بالمعادين جميعاً ، اما بيانه بالدليل العقلى فلم ار فى كلام احد الى الآن ، وقد مر البرهان المشرقى والعرشى جميعاً على ان المعاد فى المعاد هو بعينه هذا الشخص الانسانى روحاً و جسداً ، بحيث لويراه احد فى المحشر يقول : هذا فلان الذى كان فى‌الدنيا ، و من انكر هذا فقد انكر قطباً عظيما من قطبى الايمان ، و ركناً عظيماً من اركانه ، فيكون كافرا عقلا و شرعاً ، ولزمه انكار كثير من‌النصوص القرانية مثل قوله تعالى : قال من يحيى العظام و هى رميم ، قل يحييها الذى انشأها اول مرة[١٥] و قوله تعالى : ائذامتنا وكنا تراباً و عظاماً ائنا لمبعوثون او اباؤنا الأولون، قل ان الأولين والآخرين الى قوله : هذا نزلهم يوم الدين[١٦] و قوله تعالى : ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه ، بلى قادرين على ان نسوى بنانه[١٧] الى غير ذلك من النصوص القاطعة على ان المحشور يوم‌الاخرة هوالشخص بجميع اجزائه واعضائه .

المشهد الخامس

فى تعيين الامر الباقى من اجزاء الانسان بعدالموت الذى ينشأ عليها النشأة الاخرة، والاشارة الى القبر و عذابه

اعلم ان الروح اذا فارق البدن العنصرى يبقى معه من هذه النشأة الفانية امر ضعيف الوجود ، وقد عبر عنه فى‌الحديث النبوى بعجب الذنب ، وقد اختلفوا فى معناه ، فقيل : المراد منه هو الاعضاء الاصلية ، و قيل : هو المادة الاولى المشتركة المسماة عندالحكماء بالهيولى ، و قيل : هو مرتبة العقل الهيولانى ، و قال الشيخ ابوحامد الغزالى : انما هو النفس و عليها النشأة الاخرة ، و قال ابو يزيد الوفواقى : هو جوهر فرد يبقى من هذه النشأة لايتغير ، ينشأ عليها تلك النشأة ، و عند الشيخ محى الدين الاعرابى هو الماهية المسماة بالعين الثابت من‌الانسان ، ولكل منها وجه .

لكن البرهان منا قد دل على بقاء القوة الخيالية المدركة للصور

١٥ــ يس ٧٨و٧٩ ١٦ــ واقعه ٤٧ــ٥٦
١٧ــ قيامه ٣و٤

الغائبة عن عالم الحواس، و هى اخر هذه النشأة الاولى و اول النشأة الثانية، فالنفس اذا فارقت البدن و فارقت هذا العالم، حملت معها القوة الخيالية المدركة للصور الجسمانية، فيشاهدها ولا يزاحمها حينئذ شيء من حواس البدن، مشاهدة اقوى من مشاهدة الحس لها، و يتصور الانسان عند ذلك ذاته بصورته الجسمانية التى كانت تحس بها فى وقت الحيوه البدنية الحسية، كما فى المنام كانت نفسه يتصور بدنه الشخصى و تحس به، والفرق بين ما يسمى احساساً او مشاهدة و بين ما يسمى تخيلا ليس الا بقوة الظهور و ضعفه، فالمدرك بالادراك الخيالى[18] يسمى مشاهدة، سواء ادرك بهذا العين المسمى بالباصرة او بعين الخيال، فما يدركه الخيال عند اليقظة يسمى تخيلا لكثرة شواغل الحواس و مزاحمتها لعين الخيال، و ما يدركه فى المنام يسمى رؤيا و مشاهدة لقلة شواغل الحواس عند ركودها، و من الرؤيا ما يكون اشد ظهوراً و اكثر تأثيراً من الرؤية بهذا العين، و ما يكون منها اقل ظهوراً و انقص تأثيراً من الرؤية بهذا العين، فان سببه وجود هذه الحواس و شواغل اثارها المرتفعة الى النفس، و كدوراتها المتواصلة الى عين الخيال، كالغبارات والادخنة المرتفعة من الارض الى عين الحس الغاشية عليها، الحاجبة اياها عن تمام المشاهدة للاشياء الموجودة فى حواليه، و اذا زالت و ارتفعت عادت المشاهدة التى من شأن هذا العين.

فهكذا يجب ان يعلم ان المانع لتمام المشاهدة و الرؤية بحس الباطنى المسمى بالخيال فى المشهور، انما هو اثار شواغل هذه الحواس، و تلك الاثار لايرتفع بحيث لايبقى منها شيء الا بالموت، و عند ذلك ينكشف الغطاء تمام الانكشاف، و يتجلى صور الاشياء غاية الانجلاء، و يكون البصر الباطنى للانسان حديداً، كما قال تعالى: فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[19] و حينئذ يكون ما يراه النفس بالحس الباطن اشد ظهوراً بكثير مما كانت يراه فى يقظة هذا العالم، التى حكمها بالقياس الى انتباه الاخرة حكم المنام بالقياس اليها، كما فى قوله عليه السلام: الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، و

١٨ـ التخيلى (ن ل) ١٩ـ ق ٢٢

فى الخبر ايضاً : الدنيا منام والعيش فيها كاحتلام .

و بالجملة أن للنفس فى ذاتها سمعاً و بصراً و شماً و ذوقاً و لمساً تدرك بها المحسوسات الغائبة عن هذا العالم ادراكا جزئياً ، و تتصرف فيها ، و هى اصل هذه الحواس الدنياوية و مباديها ، الا ان هذه فى مواضع مختلفه ، لانها مادية يحملها هذا البدن الكثيف ، و هى فى موضع واحد ، والنفس حاملها و حامل ما يتصورها ، فاذا مات الانسان و فارقت معها جميع ما يلزمها من قواها الخاصة بها ، و معها القوة الوهمية المصورة ، فيتصور ذاته مفارقة عن هذا العالم ، و يتوهم نفسه عين الانسان المقبور الذى مات على صورته ، و يجد بدنه مقبوراً ، و يدرك ايضاً الالام الواصلة اليه على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرايع الحقة ، فهذا عذاب القبر ، وان كانت سعيدة يتصور ذاتها على صورة ملائمة و يصادف الامور الموعودة ، فهذا ثواب القبر كما قال صلى‌الله عليه و اله : القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران ، و اياك ان تعتقد ان الامور التى يراها الانسان بعد موته من احوال القبر و اهوال البعث امور موهومة لاوجود لها فى الاعيان ، كما زعمه بعض الاسلاميين المتشبثين باذيال الحكماء ، فان من يعتقد ذلك فهو كافر فى الشريعة ضال فى الحكمة ، و الامور القيامة اقوى وجوداً و اشد قواما و تجوهراً من هذه الحسيات ، لان هذه الصور متجددة من باب الحركات ، موجودة فى الهيولى التى هى اخس الموضوعات ، واما الصور الاخروية فاما مجردة او قائمة فى موضوع النفس التى من الجواهر الملكوتية ، كما لانسبة بين الموضوعين فى الشرف ، فكذا لانسبة بين الصورتين فى القوة والتأكد ، على ان كلتاهما مدركان للنفس ، احديهما بواسطة الالات الجسمانية والاخرى بدونها .

فصل

فيه تأييد و تبصرة

قال بعض المكاشفين : ان عقول الانبياء عليهم‌السلام لما اخذت فى العروج الى الرفيق الاعلى والمنزل الاسنى ، مدلهم الفرجة حتى برزوا الى

بقاع عالم البرزخ فهم فيه متنعمون ، وقد ورد ان الانبياء صلوات الله عليهم احياء فى قبورهم يصلون ، ثم سلك بهم الى مقامات القيامة ، ثم يحملون الى منازلهم فى الجنة .

و اعلم ان لك فى الوجود مراتب ، ولتكويناتك مواسم[۲۰] و انت بعد ما حظيت الا بتكوين واحد و وجود واحد ، فاذا كونت فى البرزخ تطالع ما كنت فيه ايام الدنيا كأنها منام ، الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا كما ورد فى الحديث ، ثم فى كونك فى البرزخ لك زمان و مكان و عالم تطالعه و تتحقق بمعرفته : ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران، ثم تكون تكوناً اخر فى يوم البعث والنشور فى منازل القيامة فاذا اجتمعت متفرقات قالبك وجوداً جمعياً لافرق فيه ، و تكوناً رتقياً لافتق له ، و بنى بنيان دار خلودك فى دار الحياة ، و نزل الروح الذى هو صاحب المنزل فى منزله ، فعند ذلك ترى فى الوجود ما لا عين رأت ، و تسمع ما لا اذن سمعت ، كما ورد فى الخبر ، و ترى فى الوجود الانهار الاربعة ، انهاراً من ماء غير اسن، و انهاراً من لبن لم يتغير طعمه ، و انهاراً من خمر لذة للشاربين ، و انهار من عسل مصفى[۲۱] .

و مما يزيدك ايضاحاً انك ربما نمت فرأيت فى منامك رياضاً و اشجاراً و جنات تجرى من تحتها الانهار ، و قصوراً و اشخاصاً كريمة من الاشياء التى اخبرت بها من نعيم الجنة ، او اشياء مكروهة موحشة سوداء مظلمة و نيرانات ملتهبة ، من قبيل ما اخبرت به من عذاب الجحيم ، و انت فى منامك يمكن ان تبقى فى تلك الحالة ساعة او ساعتين او اكثر من ذلك ، فماذا تنكر ان هذا الوجود الذى ينبأ لك فى منامك كل ما ادركت يبقى متجسداً على تلك الهيئة ، فحينئذ يتحقق فى الجنة و نعيمها ، و يكون ذلك وجوداً مكونا لك ، فالقادر على التكوين فى زمان يسير قادر على التكوين فى زمان كثير ، قال الله تعالى : و من اياته منامكم بالليل والنهار[۲۲] .

اما المنام الذى يفرغ امتعة الحقائق فى اوعية مثالية هو جزء من عالم

۲۰ـ علامات و اجتماعات ۲۱ـ محمد ۱۵

۲۲ـ روم ۲۳

الغيب، و لهذا ورد: الرؤيا الصالحة جزء من ستة و اربعين جزء من النبوة[٢٣] فثبت ما اخبر الله تعالى من الجنة و نعيمها و النار و جحيمها، وقد ورد ان رسول الله صلى الله عليه واله مديده فى المحراب عند صلوة الكسوف ثم نفض يده، فقيل له: يارسول الله مددت يدك فى المحراب ثم نفضتها، قال: نعم، عرض على عنقود من عنب الجنة، فقيل له: لما اخذتها؟ قال: هيهات، حبة منه لاتسع الدنيا، فعلى ما حققنا الامر صحح و ظهر ان الدنيا والاخرة حالتان للنفس، و تحقق و تبين ان الموت عبارة عن خروج النفس من غبار هذه الهيئات البدنية، كما يخرج الجنين من بطن امه، و قد وقعت الاشارة الى ان سبب الموت الطبيعى فعلية النفس و تجوهر وجودها و رجوعها الى ذاتها و عالمها، و تقلبها الى الدار الاخرة و لقاء الله، اما فرحانة مسرورة منعمة حرة، و اما معذبة منكوسة الرأس الى هذا العالم، مقيدة بالسلاسل والاغلال.

المشهد السادس

فى ان الحكمة يقتضى بعث الانسان بجميع قواه و جوارحه

اعلم ان كل قوة من قوى العقل العملى للانسان من الحواس و غيرها انما يسرى من نفسه الى بدنه، و لكل منها علل اربع: حامل و فاعل و صورة و غاية، فحاملها البدن، و فاعلها او ما هو بمنزلة الفاعل هو النفس، لانها يسرى منها الى البدن، و صورتها ذاتها، و لكل منها غاية و كمال يخصها، و لها لذة يناسبها، والم بازائها كما مر، فلها بحسب كل ما كسبته يلزم لها فى الطبيعة الجزاء، اذ قد ثبت فى مباحث العلة والمعلول: ان لكل موجود طبيعى غير صناعى غاية طبيعية ينتهى اليها اذا لم يكن يمنعها عائق، و ثبت ايضاً ان العوائق امور نادرة اقلية الوجود، انما يلحق لبعض الاشخاص فى اوقات قليلة، و ان الانواع لا يمنع عن الوصول الى غاياتها، فلكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات[٢٤] لئلا يصير كمالات القوى الجسمانية مزاحمة اياكم، مانعة عن خيرات القوى العقلية لكم.

٢٣ـ و فى الحديث رؤيا المؤمن ٢٤ـ بقرة ١٤٨

و من هذه المسألة تبين و تيقن ان العناية الالهية اقتضت عود الكل الى مقتضى فطرتها و الوصول الى غاياتها ، و هذا موجب البعث و حكمة المجازاة فلكل قوة و مبدأ بعث و جزاء ، الا ان باب الدخول الى النشأة الاخرة هو نفس الانسان و روحه الجامعة لهذه القوى والمبادى ، فالنفس الانسانية بمنزلة طير سماوى له اجنحة ورياش، فالجناحان هما القوة النظرية والعملية، والرياش لكل من الجناحين هى القوى والفروع ، والبدن بمنزلة البيضة التى يخرج منه الفرخ، فاذا قويت بجناحيها وارتاشت حان لها وقت الطيران، فطارت بجناحيه الى السماء و حملت معها كل ريشة من رياشها .

و من تحقق بهذا تيقن بلزوم عود الكل ، و لم يشتبه عليه ذلك ، و هذا مقتضى الوفاء بالوعد و الوعيد ، و لزوم الجزاء على ما يراه الحكماء من لزوم المكافات فى الطبيعة ، لامتناع وجود ساكن فى الخليقة ، معطل فى الوجود والكون ، و قدمر مراراً ان لاساكن فى الكون، وان الكل متوجهون نحو الغاية المطلوبة ، سائرون الى الله ، يولون وجهته و شطره ، صائرون الى حضرته ، كما قال : الا الى الله تصير الامور [٢٥] و قال : واليه تحشرون [٢٦] الا ان حشر كل احد الى ماينا سبه بالذات اولا ثم اليه عاقبة الامر ، فان له تعالى بحسب كل موجود شؤون واسماء يحشرون اليها ، فللانسان بحسبه ، و للشياطين بحسبهم ، و للحيوانات بحسبها و للنباتات بحسبها ، كما قال سبحانه فى حق افراد الناس: يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفداً ونسوق المجرمين الى جهنم ورداً [٢٧] وفى الشياطين: فوربك لنحشرنهم والشياطين [٢٨] وفى الحيوان قوله : و اذا الوحوش حشرت [٢٩] والطير محشورة كل له اواب [٣٠] و فى النبات: و ترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت و انبتت من كل زوج بهيج ، الى قوله : و ان الله يبعث من فى القبور [٣١] و فى حق الجميع : و يوم نسير الجبال و ترى الارض بارزة و حشرناهم فلم نغادر منهم احداً ، و

٢٥ــ شورى ٥٣
٢٦ــ مؤمنون ٧٩
٢٧ــ مريم ٨٥و٨٦
٢٨ــ مريم ٦٨
٢٩ــ تكوير ٥
٣٠ــ ص ١٩
٣١ــ حج ٦و٧

عرضوا على ربك صفاً [٣٢] و قوله : انا نحن نرث الارض و من عليها والينا يرجعون[٣٣] و قوله : و كل اتيه يوم القيامة فردا[٣٤] و قوله : كما بدأنا اول خلق نعيده[٣٥] و قوله : ائذا كنا عظاماً و رفاتاً ائنا لمبعوثون خلقا جديداً ، قل كونوا حجارة او حديداً او خلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون من يعيدنا[٣٦] .

تنبيه

على ان لكل موجود بعثاً و حشراً و خلقا جديداً ، و ان كان حجارة او حديداً بعيداً عن دارالاخرة ، او خلقاً كبيرا شديداً كالفلك ، فانه غير قابل عنداكثر العقلاء للدثور و الخراب و الفناء، ولكن العارف بقوة ايمانه و عرفانه يهدم سقف هذا البيت و حيطانه ، و يشقق غمامه و يخرب بنيانه بمعول اثبات التجدد والاستحالة والحدوث والانقضاء فى كل ماله صورة الطبيعية ، الهاوية فى الهيولى ، الابية عن قول الديمومة والبقاء ، النائية عن عالم القرب والجود والعطاء ، و لذلك يرتحل عنها النفوس و يعود الى دار اخرى عند من اليه الرجعى ، وله الاخرة و الاولى.

المشهد السابع
فى الاشارة الى اقسام المعاد

لما علمت ان لكل شىء معاداً و مرجعاً ، كما ان له مبدأ و منشأ ، فان المعاد بمعنى العود والرجوع للشىء الى الحالة التى خرج منها ، كما قيل: كل شىء يرجع الى اصله ، فهو من المعانى الاضافية الواقعة تحت مقولة المضاف ، فلذلك معرفته لايتم الا بمعرفة امور ثلاثة : ما له المعاد ، و ما منه المعاد ، و ما اليه المعاد ، ولكون اطراف المضاف ينقسم كل منهما بانقسام الاخر، فاذا عرف ما اليه المعاد ، يعرف اقسام الباقيين ، اعنى ما له المعاد و ما منه المعاد ، و اما ما لهالمعاد فامور :

٣٢ــ كهف ٤٧و٤٨
٣٣ــ مريم ٤٠
٣٤ــ مريم ٩٥
٣٥ــ انبياء ١٠٤
٣٦ــ اسراء ٤٩ ــ ٥١

احدها عالم الروحانيات المحضة ، اعنى الارواح العالية والعقول القادسة والصور المفارقة والمثل الالهية والارباب النورية ، فمعادها الى الذات الاحدية الواجبية .

و ثانيها عالم النفوس الفلكية ، فمعادها اما من جهة اشتراكها فى الجنسية و اتفاقها فى تحريكاتها الشوقية طلباً للكمال المطلق والخير المطلق والجمال المطلق، فالى الله تعالى مع قطع النظر عن الوسائط العقلية والجهات النورية، واما من جهة اختلاف ماهياتها و تفنن دواعيها و تكثر مباديها و معشوقاتها ، الموجبة لاختلاف تحريكاتها وتشبهاتها الكمالية و تعشقاتها العقلية الفياضة ، فالى تلك المعشوقات الكاملة المكملة للنفوس فى اخراجها من القوة الى الفعل والتحصيل ، و من النقص والافة الى الهداية والتكميل ، ثم بتوسطها الى اول الاوائل و مبدأ المبادى والوسائل ، التى قدرته ابدعت هذه الوسائط، و حكمته اخرجت هذه البسائط .

و ثالثها عالم الاجرام العظيمة والهياكل القويمة ، كالسموات و الكواكب كالشمس والقمر و سائر النجوم ، فمعادها اما من حيث قوتها الخيالية ، فالى عالم النفوس والامثال ، و اما من حيث قوتها الهيولية ، فالى دار البوار و مهوى الاشرار و منزل الكفار ، و اما من حيث طبيعتها المتجددة فى كل حين و زمان، فالى ما اليه يميل ويستحيل من الصور المثالية المتماثلة المتصله ، لا المتضادة المتخالفة المتفاضلة ، اذ الوجود فيها لم يبعد غاية البعد عن الوحدة الحقيقية والجمعية الذاتية ، كما فى الصور العنصرية التى فيها غاية العناد و التفرقة .

و رابعها عالم الصور المتضادة والعناصر المتفاسدة ، فمعاد كل صورة اما بحسب تصالحها و تعادلها و كسبها الجمعية والوحدة ، فالى اول منازل العباد من صور الجماد ، و منها الى النبات و منها الى الحيوان ، و اما من حيث تفردها بصورة خاصة ، فالى مضادها وقتا والى مماثلها وقتاً اخر، لما لكل من هذه العناصر حصتان من الوحدة والكثرة والاتفاق والاختلاف والفعل والقوة ، وله بحسبها استيهالان : فبحصة اختلاف صورها يستحق و

يستأهل ان ينقلب الى ضده و يستحيل اليه ، و بحصة اشتراك مادتها يستحق و يستأهل لان يرجع الى مثله و يعود الى ماكان قبله ، ايفاء للاستيهالين ، و احقاقاً للحقين.

و خامسها عالم الهيوليات ، فمعاد كل منها الى البوار و الهلاك، كما اشير اليه فى قوله[٣٧] .

و سادسها عالم الانسان ، و هو مختصر لطيف من كل عالم الوجود، فيه حقائق الاشياء، اذ هو كتاب جامع، مع وجازته لجميع معانى ما فى الكتب السماويه و سجلات الادوار الفلكية ، فله عدة معاد بحسب عدة نشات حاصلة له من تركيب روحه و جسده و عقله و نفسه و طبعه ، فله بحسب كل نشأة بعث و حشر و معاد ، فالبعوث التى للانسان فى خمس منازل و مقامات.

فالاول بعث قالبه من قبر الارض بحسب غلبة الارضية عليه ، و من قبور اجساد العناصر الاربعة بحسب تربيع سريره الذى عليه مرقد طبيعة قالبه ، والثانى بعث قلبه من قبر قالبه ، والثالث بعث روحه من قبر القلب ، والرابع بعث نفسه من قبر الروح ، والخامس بعث عقله من قبر النفس .

وهذه الانبعاثات الخمسة فى ازمنة متعاقبة لايعرف كميتها الاالله والراسخون فى العلم ، و من علم اقسام البعث علم اقسام الحبوس والمطامير ، فكل من لم يسلك سبيل الله بقدم العبودية والايمان والايقان ، و لم يعرف المبدأ والمنشأ، لايمكنه ان يعرف المعاد المسرى ، و لهذا السر يقلب الله تعريف حال المبدأ، فى جميع المواضع لتعريف احوال المعاد و يحيله على ذلك ، نحو قوله عزوجل : قال من يحيى العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى انشأها اول مرة[٣٨] وقوله : كما بدأنا اول خلق نعيده[٣٩] و انت لو عرفت حال المبدأ يمكنك ان تعرف حال المعاد ، و اكثر من كان شاكاً فى امر المعاد متوقفا ذهنه فى باب معرفته ، فذلك لاجل تصور معرفته باحوال المبدأ ،كما قال عزوجل : افعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد[٤٠] .

فدرجات المعاد و مقامات الرجوع و نهاياته بازاء درجات المبدأ و

٣٧ــ و فى جميع النسخ هنا بياض ، تفصيله فى رسالة الحشر فى الفصل السابع .

٣٨ــ يس ٧٨و٧٩ ٣٩ــ انبياء ١٠٤ ٤٠ــ ق ١٥

اوائل منازل الوجود و بداياته، كالصبح و الشفق ضرباً للمثل فی الابد و الازل، فما من شیء الاوله معاد، كماله مبدأ، فابلغ الايات الواردة فی هذا الباب قوله تعالى: قل كونوا حجارة اوحديدا او خلقا مما يكبر فی صدوركم، فسيقولون من يعيدنا[41] فرد عليهم انكارهم بوقوع منازل الابتداء فی مقابلة مقامات الانتهاء فی قوله: قل الذی فطركم اول مرة[42] الی مثل تلك الحالة المبدأة فيها بالايجاد و الخلق، سواء كان وقتا او سبباً اومادة اوصورة اومكانا يجوز عودها مرة اخرى بعدالاولى لاستيناف خلق جديد، ولو كان على امر بعيد، لا لان المرة الاولى كانت ناقصة، فان ذلك يدل على الجهل و العجز المحالين على العليم القدير، بل ليصوغه احسن و اتقن من الاولى، كما اشار اليه المعلم الصالح فيلسوف زمانه و عالم اوانه حين ناظر الدهری، حسبما نقلنا كلامه، و كما قال الحكيم المتأله المجاهد، سقراط الزاهد العابد رمزاً الى المعاد، و ايماء الى حشر النفوس و الاجساد: نحن كائنون فی الزمن الذی بعد.

فللانسان كينونة بعد كينونة زماناً و رتبة، فالزمان للابدان، و الرتبة للنفوس و الارواح المجردة عن هذه الاكوان، و كذلك قوله تعالى: افعيينا بالخلق الاول[43] ای ما مسنا من لغوب ولا اعياء ولا تعب فی الحالة الاولى، فكيف يلحقنا فی الحالة الثانية، و هواهون علينا فی عقلكم و فهمكم، اذ الممارسة توجب الملكة، كما قال: و هوالذی يبدؤا الخلق ثم يعيده و هواهون عليه[44] و قيل: الضمير راجع الى المعاد لا الى المعيد حذراً من سوء الادب، لكونه منزها عن العسر تارة واليسر اخرى، و لكونه عدم ملكة العسر، والملكة والعدم كلاهما مسلوبان عن ما يتقدس ذاته عن المادة و عوارضها، فله الاسماء الحسنى فی الاخرة و الاولى، بل المنكرون فی لبس و عمى من كيفية خلق جديد فی مثل الحجر والحديد، فان كل كائن باين عندالتحقيق والكشف، و كل ما له صورة ما غاية و كمال لازم او مباين، سواء كان نفساً اوجسماً، سواء كان جماداً اونباتاً اوحيوانا او فلكا، فالافلاك والعناصر سيان عند العارف المبصر فی قبول التجدد والانقضاء والحدوث

٤١ و ٤٢ـ اسراء ٥٠ و ٥١ ٤٣ـ ق ١٥
٤٤ـ روم ٢٧

والفناء، وكذا السحاب والجبال فى انسحاب الحكم على حكم الاشباه والامثال، فى باب المرور على الدهور و المسافرة والارتحال الى الله العلى المتعال.

فالاية السابقة دلت على ان لكل من العناصر و مركباتها معاداً و مثوى و مرجعاً، كما أن له كوناً و فساداً، و لغيرها ايضاً حيث قال: اوحديداً او خلقا مما يكبر فى صدوركم[٤٥] اى من المخلوقات التى يعظمون أحالة عودها، كالعظام البالية والاعضاء الرميمة و نحوها، اويعظمون وجودها لاستحكامها و تمامية خلقها و رفعة سمكها و عدم قبولها للهدم والفساد، فاشار الى كيفية معادها والى طريق يمكن للانسان اذا سلكه ان يهتدى بمعرفة معاد الامور بقوله: قل الذى فطركم اول مرة[٤٦] فكما ان معاد الحجر والحديد يعرف من مباحث كونها و فسادها و معرفة حال مبادى صورها و معادها و مال طبايعها و قواها و اثارها. فكذلك معاد نفوس الافلاك و اجرامها يعرف ممابه قوامها و دوامها، قل سيروا فى الارض فانظروا كيف بدء الخلق[٤٧] ثم بعد الامر بهذا السير فى ارض الاجرام او فى ارض مقدسة العقل حقق المعاد بقوله: ثم الله ينشأ النشأة الاخرة ان الله على كل شىء قدير[٤٨].

فالعقل يحكم بمعاد السماويات والكليات، كما يحكم بمعاد الارضيات والجزئيات، لان فعل الطبيعة متشابه متضادة فى الكل، لكن هذا الفساد والمعاد فى الجزئيات يقع فى سنة او اكثر اواقل، كما قال: و ترى الارض خاشعة، فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت و ربت ان الذى احياها لمحيى الموتى[٤٩] و اما فى الكليات فانما يكون فى الادوار الكثيرة والاكوار الجمة الغفيرة والاطوار والنشات المتتالية المتنائية[٥٠] التى لايعلم كمياتها و كيفياتها الا الله الذى بدأها و انشأها.

و اما الانسان فلمروره على سائر الاكوان و صعوده على منازل النفوس والارواح، لنزول روحه من عالم الامر و دارالحيوان، له المعاد الحقيقى،

٤٥ـ اسراء ٥٠ ٤٦ـ اسراء ٥٠

٤٧و٤٨ـ عنكبوت ٢٠ ٤٩ـ حج ٦

٥٠ـ المتباينة (المطبوعة)

اذ هو المقصود بالخلق و التكوين من عالم العناصر والاركان، ولاجله خلق سائر الاكوان.

فمعاد العناصر والمواليد اليه، و معاده الى دار الاخرة مجملا، تفصيله بحسب تفصيل افراده واصنافه و درجاته و مقاماته مما يحتاج الى شرح و بيان، و قد اشتهر من اقسام معاده معادان: جسمانى و روحانى.

اما الجسمانى فلانه يعاد مثل بدنه الذى اضمحل و تلاشى، و صار عظاما نخرة، على ما اخبر عنه الكتاب العزيز: اولم يروا ان الله الذى خلق السموات و الارض قادر على ان يخلق مثلهم[٥١] اى الخالق لكلية الاجسام كيف لايقدر ان يخلق بدناً شخصياً جزئياً من ابدان الحيوان، بل هذا بالطريق الاولى، كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس[٥٢] و هذه مبالغة اخرى فى تحقيق اعادة الاجسام الذاهبة الى حيز الفساد، وانما ذكر المثل لخلق الشخص الفانى فى موضعين من كتابه، تنبيها على وجهين:

احدهما ان اعادة المعدوم بعينه محال، بل الممكن اعادة مثله لاعينه، كيف يكون ذلك ممكنا، و كل فاسد لابد من فساده فساد مشخصاته من الزمان والمكان و غيرهما، ولو اعيد هو بعينه لاعيد الزمان معه الى زمان اخر، فيكون للزمان زمان اخر، ولاعيد المكان معه، فيكون للمكان مكان اخر و هو محال.

و ثانيهما ان فيه الاشارة الى ان المحشور اليه الانسان فى القيامة هو من الابدان الاخروية المثالية المكسوبة للارواح بحسب اعمالهم و اخلاقهم و ملكاتهم و اعتقاداتهم مما اضمروه او ابدوه، فان يوم الاخرة يوم كشف الضمائر و نشر صحائف النفوس والسرائر.

و اما الروحانى فلكل واحد من عقله و نفسه و جسمه معراج الى عالمه و معاودة الى معاده، اما لعقله فالى عالم العقول، و اما لنفسه فالى عالم النفوس و مأوى الارواح، اليه يصعد الكلم الطيب[٥٣] و اما لروحه الجسمانى الدخانى فالى عالم الافلاك، اصلها ثابت و فرعها فى السماء[٥٤] و اما لجسمه

٥١ـ اسراء ٩٩ — ٥٢ـ غافر ٥٧
٥٣ـ فاطر ١٠ — ٥٤ـ ابراهيم ٢٤

العنصری المستحیل المرکب من‌الاضداد ، فالی ما ینحل الیه و یستحیل ،
و اما لجسمه الحیوانی البرزخی الذی هو صورة نفسه و هیئة ذاته و مثال
فعله و کتاب عمله ، فالی دارالحساب والجزاء و منزل السعداء او جحیم
الاشقیاء .

و اما عود الروح الی قالبه الذی فارقة بعینه او الی مثله فالامر فیه مشتبه
غیر معلوم لاحد من‌العقلاء والعلماء ، الا لمن اخذ علمه من مصباح النبوة ،
والشیخ الغزالی مع جلالة قدره جعل هذه‌المسألة موقوفة علی صحة التناسخ،
ان صح تناسخ النفوس فی الابدان صح القول بالمعاد ، وان لم یصح لم یصح.

و علی الجملة فالقول بصحة عود الروح الی البدن و اعتقاد بطلان
التناسخ مما یتنافیان ،کالمنافاة بین وجود الشیء وعدمه ، و نحن بفضل‌الله
و نور رسوله اهتدینا بهذا ، و رأینا طریق الحق فیه ، فحکمنا بصحة العود الی
هذا البدن‌بعینه من جهة[٥٥] ، مع‌بطلان التناسخ وفساده‌بحمدالله وحسن‌توفیقه.

٥٥ـ من جهة لابعینه دن جهة مع (ن ل) بعینه من جهت بطلان (المطبوعة)

المفتاح التاسع عشر

فى نبذ من احوال القيامة و مقاماتها ، و فيه مشاهد :

المشهد الاول

فى صفة طريق الاخرة وسبب اعراض الخلق عنه

اعلم ان طريق الاخرة سهلة للنفوس السليمة غير وعرة عليهم ، وفطر النفوس مجبولة على سلوكها لو لم يعرضوا عنها ، لما بينا فى مباحث اثبات الغايات : ان الموجودات كلها متوجهة نحو المبدأ الاعلى ، ولكن الناس عنها معرضون، والا فالطريق واضحة والعلامات منصوبة والحجج باهرة، والهداة والقواد موجودون ، والمعلمون معتمدون ، والرسل مرسلون ، والمتوسطون بين الله و بين عباده قائمون بامره و نهيه ، والكتب والرسالات منزلة منه الى الخلق باعلامهم و ارشادهم ، و بالجملة البرهان قاطع والقران ساطع كما قال عزوجل لقد ارسلنا بالبينات و انزلنا معهم الكتاب والميزان[1] و قوله : قد جائكم من الله نور و كتاب مبين[2] الى غيرذلك من الايات الكثيرة .

و مما يوضح لك ان سلوك طريق الاخرة سهل يسير ، ان ورود السالك فى سلوكه اليه تعالى انما يقع على ما وقع صدوره عنه من المنازل والمقامات التى مر عليها حين نزوله من الفطرة الاولى ، فكل مرتبة و درجة يصل اليها و يقف عليها ، فهى بعينها التى كان راها نزلة اخرى ، لايكلف الله نفساً الا وسعها[3] ولكن الخلق غافلون معرضون عنها ، والناس ناسون اياها كما قال

۱ــ حديد ۲۵ ۲ــ مائده ۱۵

۳ــ بقره ۲۸۶

تعالى : و ان كثيراً من الناس عن اياتنا لغافلون[٤] و قوله : وكأين من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون[٥] و قوله : ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسى ولم نجد له عزماً[٦] و لهذا قيل لهم يوم القيامة : ارجعوا ورائكم فالتمسوا نوراً[٧] حين ما لم يمكنهم ذلك ، لـوجـود السور والسد والحجاب بينهم و بين النور لقوله : فضرب بينهم بسور[٨] و قوله : و جعلنا من بين ايديهم سداً و من خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون[٩] و انما وقـع النسيان لهم عن امر الاخرة و مقاماتها و درجاتها لتحقق الغشاوة علـى ابصارهم و اسماعهم ، و ذلك لان السمع و البصر و غيرهما من الحواس و المشاعر التى يمكن بها ادراك امور الاخرة ، ليست هى هذه الظواهـر الجسمانية الكثيفة المادية ، المغشاة بالاغشية الظلمانية ، و ان تدعوهم الهدى لايسمعوا و تريهم ينظرون اليك وهم لايبصرون[١٠] بل هذه الحواس الدنياوية هى اغشية وملابس على تلك الحواس التى تشاهد بها الاخرة، كما ان مدركات هذه ، قشور و قبور و حجب و غواش على مدركات تلك المشاعر، و هـى الصورة الموعودة فى الجنان ، المستورة عن اعين الخلق ، المختفية عـن ابصارهم لقوله تعالى ولاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون[١١] و ادراكها متوقف على نزعها عن القشور والمواد، واخراجها عن القبور للمعاد.

و من حاول ادراك تلك الامور التى وقع عليها المرور ، اذابعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور[١٢] فعليه ان يرفض هذه الظواهر الكدرة ، و ينفض عن اذيال نفسه غبر هذه الالات الجزئية[١٣] المدرة ، و يستعمل تلك البواطـن المستعلية النيرة ، فمن شاهدهـا وابصرهـا بعين القلب لعرفها واستكبرها[١٤] و ما جحدها و ما استنكرها ،كما قيل : من نظر اعتبر و مـن

٤ ــ يونس ٩٢
٥ــ يوسف ١٠٥
٦ــ طه ١١٥
٧و٨ــ حديد ١٣
٩ــ يس ٩
١٠ــ اعراف ١٩٨
١١ــ سجده ١٧
١٢ــ عاديات ٩ و ١٠
١٣ــ الخربة (ن م)
١٤ــ اى اعتده كبيراً

اعتبر عرف[١٥] كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره[١٦] و انما يتذكر اولوا الالباب[١٧].

و اما علة اعراض الخلق عن امر المعاد و معرفتهم لمرجع الخلائق و العباد فهى كثيرة، ولكن اصولها و رؤسائها ثلاثة، و هى رؤساء الشياطين، وهى شوائب الطبيعة و وساوس العادة و نواميس الامثلة.

اما الاولى: فكدواعى الطبيعة من الشهوة والغضب و توابعها وعوارضها من حب الجاه و المال والاهل والولد والنساء والدرهم والدينار والملابس والمساكن و غير ذلك مما يجمعها حب الدنيا، و لذلك قال تعالى: زين للناس حب الشهوات من النساء و البنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا[١٨] و هذه كلها مع زينتها و حسنها و رونقها فى الدنيا عند الجهلة والعماة، هى بعينها منشأ عذاب القبر، حيث قال صلى‌الله عليه و اله: هل تدرون فيما ذا نزلت فان له معيشة ضنكا[١٩]؟ قالوا: الله و رسوله اعلم، قال: عذاب الكافر فى قبره ان يسلط عليه تسعة و تسعون تنيناً، هل تدرون ما التنين؟ تسعة و تسعون حية، لكل حية تسعة رؤس ينهشونه و يلحسونه و ينفخون فى جسمه الى يوم يبعثون، فانظر الى هذا الحديث بعين البصيرة، واعلم ان هذا حق و صدق، و على هذا الوجه مشهودة لارباب البصائر ببصيرة هى اصح من البصر الظاهرى، والجاهل باحوال النشأة الاخرة ينكره و يجحده حيث يقول: انى انظر فى قبره فلا ارى شيئا من تلك الحيات اصلا، فليعلم الجاهل ان هذا التنين ليس خارجاً عن ذات الميت، اعنى صميم قلبه و ذات باطنه و روحه المصورة فى الاخرة بصورة اخلاقه و اعماله، فان الروح بالحقيقة هى التى تتألم و تتنعم، بل كان معه قبل موته متمكناً من باطنه، لكنه لم يكن يحس بهذه الحيات و رؤسها و مباديها و موادها و صورها و هيأتها، لخدر كان معه و غشاوة غشيته، و حجب حجبت بصيرته عن ادراكها لغلبة الشهوات، فما احس بلدغ هذا التنين وعدد هذه الحيات التى عددها بقدر عدد الأخلاق

١٥ـ عبر (اسرار الايات)
١٦ـ مدثر ٥٥
١٧ـ رعد ١٩
١٨ـ آل‌عمران ١٤
١٩ـ طه ١٢٤

الذميمة و شهواته لمتاع الدنيا ، و اصل هذه التنين حب الدنيا ، و يتشعب منه رؤس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا ، من الحقد والحسد والرياء والكبر والشره والمكر والخديعة وحب الجاه والمال والعداوة والبغضاء ، و اصل هذا التنين معلوم بالبصيرة ، و كذا رؤسه اللداغة ، اما انحصار عدده فيما ورد فى الحديث من تسعة و تسعين ، انما توقف عليه بنور النبوة لاغير ، فهذا التنين متمكن من صميم فؤاد الكافر ، لالمجرد كفره بالله وجهله ، بل لما يدعوه اليه الكفر ، كما قال عزوجل : ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة[٢٠] .

و اما وساوس العادة ، فهى من باب تسويلات النفس الامارة بانسوء ، و تزئينها الاعمال الغير الصالحة ، و ترويجها الاعتقادات الردية المزيفة الكاسدة ، وتصويرها الاراء الباطلة بصورة الحق ، ومنشأها الخيالات الفاسدة و دعايات[٢١] شياطين الاوهام الكاذبة ، و نتائجها من الاخلاق الذميمة و الملكات الردية كما فى قوله عزوجل : قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً[٢٢] .

و اما نواميس الامثلة ، فهى كمتابعة اهل الضلال و أستهواء الشياطين من الانس و الجان ، وهم علماء السوء و اهل الجدال والمراء و اجابة دعوتهم والانخداع بخدعهم و تلبيساتهم المضلة المهلكة ، والاقتداء بارائهم الزايعة والاقتفاء باثارهم المغوية ، لانهم المتشبهون بالعلماء ، وهم بالحقيقة من الجهال ، والمتزيون بزى اهل الكمال ، وهم فى اغوائهم الخلق من جملة الاغوال المضلين ، ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين[٢٣] .

المشهد الثانى

فى شرف علم الاخرة، وفضل علمائه على سائر العلماء، وشقاوة المعرضين عنه و سوء عاقبتهم

اعلم ان العلوم سيما الحقيقية كلها شريفة ، و فى معرفتها عز و شرف

٢٠ــ نحل ١٠٧ ٢١ــ دعامات (ن م)
٢٢ــ كهف ١٠٤ ٢٣ــ فصلت ٢٩

و فوز بالجنة و نجاة عن الهلكة ، و فى نيلها حياة للنفوس و راحة للارواح و نور للقلوب و خروج من ظلمات الجهالة ، ولكن بعض العلوم اشرف من بعض و اهلها يتفاضلون ، فافضل العلماء هم اهل الدين و التقوى الذين هم من امر الاخرة على يقين و بصيرة ، لاعلى تقليد و رواية .

و اعلم ان معرفة حقيقة سر المعاد محجوب عن ابليس و ذريته و اتباعه من الانس ، المنكرين لما غاب عن مس الحواس و رؤية الابصار وعن اهل التقليد ، الذين لايعرفون حقيقة ماهم مقرون به من امر الاخرة والبعث والقيامة والحشر والحساب والميزان والكتاب والصراط والمعاد والجزاء ، لان هذا العلم هو لب الالباب ، و عرفانه مختص باهل القران ، و هو علم اولياء الله خاصة[٢٤] دون من سواهم ، لان اولياء الله هم المصطفون الاخيار، الذين اخلصوا بخالصة ذكر الدار .

فنريد ان نلوح من هذا العلم طرفاً فى هـذا الكتاب الذى سميناه **مفاتيح الغيب** على سبيل اشارات و تنبيهات و امثال مضروبة ، فان الاخبار عن حقيقتها يدق عن البيان ، و يبعد عن التصور بالافكار والتخيل بالافهام، الا بنفس زكية و ارواح ظاهرة و قلوب واعية و اذان سامعة ، بعد ان يتذكروا علم النفس و معرفة الروح و ماهيتها و مقاماتها و تصاريف احوالها ومواطنها و مطاويها و مظاهرها و مكونها و بروزها ، اذكان معرفة امر المعاد و حقيقة امر الاخرة بعد معرفة النفس والروح ، و ان قوماً من الاسلاميين يتعاطـون العلوم والكلام و المنطق و الجدل ، و ينكرون امر النفس و وجودها ضميراً و اعتقاداً ، و ان اقروا لساناً و تقليداً لبعض سلفهم ، و يجهلون حقيقة الروح و تصاريف احوالها ، وكذا يجهلون معرفة حقائق الاشياء الروحانية ، و يغفلون عن امر المبدأ و المعاد ، ولا يعرفون البارى و ملائكته و كتبه ورسله، و خاصة معرفة البعث و حقيقة القيامة والنشر بعدالموت والحساب والجزاء والثواب للمحسنين والعقاب للمسيئين ، لان هذه هى الامور التى اذا تحقق الانسان بمعرفتها فربما يتمنى لقاء الله و يتزود للمعاد و يسارع فى الخيرات و يتجنب عن الشرور ، و هذه صفة اولياء الله و عباده الصالحين كما وصفهم

٢٤ـ لفظ خاصه فاقد فى النسختين (ل م)

الله تعالى بها فى كتابه غير مرة .

ثم ان من شك فى امر المعاد او انكر بعث هذه النفوس والاجساد ، و القيامة والحشر والنشر والوقوف والحساب ، و وضع موازين للحسنات و السيئات ، فذلك لشكوك فى نفوسهم و حيرة فى قلوبهم ، والعلة فى ذلك عدم طلبهم اولا حقيقة جوهر النفس و كيفية كونها مع هذا الجسد البالى فى التراب ، ولم ربطت به وقتاً ما ، ولم يفارقه وقتا اخر ، و ما معنى الموت الطبيعى و حقيقته ، وما معنى بقاء النفس وقيامتها ، و من أين مبدؤها والى اين معادها ، ولهذه المباحث علم غامض و سر لطيف ليس اليها طريق للمبتدئين فى العلوم الحكمية القرانية الا التسليم والايمان بالغيب كايمان الاكمه بالالوان ، والاذعان للمخبرين الصادقين عن الله والذين اخذوا هذا العلم عن الملائكة وحياً او الهاماً ، واما الذين لايرضون ان يأخذوا هذا العلم الشريف تسليماً و تصديقاً ، بل يريدون براهين عقلية و حججاً حكمية ، فيحتاجون الى ان يكون لهم نفوس زكية و فكرة صافية و اذان واعية واخلاق طاهرة ، و مع ذلك يكونون ممن قد ارتاضت نفوسهم بالرياضات العلمية والمجاهدات الذوقية و ممارسة العلوم الحقيقية والاداب العقلية ، مع همة علية و نفس ابية و تكرار و تذكار اناء الليل واطراف النهار .

فصل

فى نتائج الاعراض عن معرفة المعاد

اعنى معرفة النفس و ما بعدها ، و هى الظلمة والضنك[٢٥] وضيق الصدر وعمى القلب والصم والبكم والحرمان ، و ذلك لان قوام النشأة الاخرة للارواح ، و حياتها و بقائها و دوامها انما هو بالعلم والمعرفة ، فمن لامعرفة له لاقوام لروحه ولاحياة لقلبه، ان الدار الاخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون[٢٦] فبقدر نور المعرفة والايمان يكون قوة حياة الانسان فى المعاد ، يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم[٢٧] و من لانور له

٢٥ــ اى الضيق والضعف ٢٦ــ عنكبوت ٦٤
٢٧ــ حديد ١٢

فی‌الاخرة لاعیش‌له ، و من اعرض عن ذکری فإن‌له معیشة ضنکا و نحشره یوم‌القیامة اعمی[٢٨] قال رب لم حشرتنی اعمی وقدکنت بصیراً ، قال کذلك اتتك ایاتنا فنیستها و کذلك الیوم تنسی[٢٩] و انما یحشر المعرض عن ذکرالله، الناسی لمعرفته أعمی و اصم ، لان بصر الاخرة وسمعها لیس بهذه الالات الداثرة البائرة[٣٠] بل بنور البصیرة و قوة العرفان و صفاء الایمان ، و ای شقاوة اشد علی الانسان من ان یکون منسیاً عندالله ، والنسیان عنده یستلزم العدم و یساوق[٣١] الهلاك، لان مبدأ صدور کل شیء منه تعالی علمه تعالی ، بل الصدور منه عین المعلومیة له و المذکوریة عنده ، کما حقق فی مباحث‌العلم، و ثبت عندالمحققین القائلین باتحاد العقل والمعقول ما یوجب ذلك .

واعلم ان للعمی مراتب ، اعنی عمی القلب عن ادراك مدرکات الاخرة لاعمی الجسد ، فانها لاتعمی الابصار ولکن تعمی القلوب التی فی‌الصدور[٣٢] والمراتب هی مثل الغشاوة ، فاغشیناهم فهم لایبصرون[٣٣] والختم ، ختم‌الله علی قلوبهم[٣٤] والطبع ، بل طبع‌الله علیها[٣٥] والرین ، کلا بل ران علی قلوبهم ما کانوا یکسبون[٣٦] و هذه غایة مراتب العمی المؤدیة الی الحجاب الاکبر، کلا انهم عن ربهم یومئذ لمحجوبون[٣٧] و اعظم الافات الموجبة لاعراض الخلق عن طریق الاخرة و طلب معرفتها ، هو حسبانهم اهل الظاهر و علماء الدنیا ، الراغبین فی المناصب و طلب اللذات والاخلاد الی الارض و اتباع الشهوات ، هداة الخلق و رؤساء الدین و علماء المذهب و اهل الاجتهاد والساعین فی تحصیل الاخرة ، و هذا اعظم فتنة فی‌الدین ، واشد حجاب وسد فی سبیل المؤمنین و قاناالله شرهم و ضرهم .

و هذا بعینه مثل ان یظن بالجاهل المریض طبیباً حاذقاً ، والسارق القاطع للطریق أمینا عادلا ، و ان تطع اکثر من فی‌الارض یضلوك عن

٢٨ـ طه ١٢٤
٢٩ـ طه ١٢٥ و ١٢٦
٣٠ـ البائرة : ای الفاسدة
٣١ـ یساوق : تساوق ای تتابع
٣٢ـ حج ٤٦
٣٣ـ یس ٩
٣٤ـ بقره ٧
٣٥ـ نساء ١٥٥
٣٦ـ مطففین ١٤
٣٧ـ مطففین ١٥

سبيل‌الله ان يتبعون الا الظن و ان هم الا يخرصون[٣٨] فلم يزدك متابعتهم والاقتداء بسيرتهم الاعياً و ضلالا و جهلا و وبالا ، لانهم يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون[٣٩] فعليك ان تعتصم فى‌سبيل الطلب للقاء الاخرة بحبل‌الله المتين والعروة الوثقى و هوالقران ، وكفى بربك هاديا و نصيرا[٤٠] و تتمسك بكلمات‌الله التامات ، و هى حجج‌الله فى ارضه و سمائه ، و تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته[٤١] .

المشهد الثالث

فى‌الاشارة الى الانتقال من‌الفطرة الاولى والعود اليها، والى التقابل بين مراتب البداية و مراتب النهاية

اعلم ان المبدأ هى الفطرة الاولى والمعاد هوالعود اليها ، فالاشارة الى الابتداء : فطرة‌الله التى فطرالناس عليها لاتبديل لخلق‌الله[٤٢] : كان‌الله ولم يكن معه شىء ، وقد خلقتك من قبل ولم تك‌شيئا[٤٣] فهذا خروج من العدم الاصلى الى الوجود الكونى الحدوثى ، والاشارة الى الانتهاء : كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام[٤٤] كل شىء هالك الا وجهه[٤٥] و هذا خروج من هذا الوجود الخاص الى العدم الفطرى ، والبدو والرجوع لما كانا متقابلين و متحاذيين كما قال تعالى : كما بدأنا اول خلق نعيده[٤٦] و قال : ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة[٤٧] فمن اجل ذلك يتضح على اللبيب المتفطن ان بحكم المبدأ كان ينبغى ان يسأل الرب و يجيب الخلق : الست بربكم قالوا بلى[٤٨] و بحكم المعاد ان يسأل الرب و يجيب هو تعالى عن نفسه : لمن الملك اليوم‌لله الواحد القهار[٤٩] فالعدم الخاص الاول للانسان هوالجنة التى كان فيها ابونا ادم و امنا حواء ، اسكن

٣٨ــ انعام ١١٦
٣٩ــ روم ٧
٤٠ــ فرقان ٣١
٤١ــ انعام ١١٥
٤٢ــ روم ٣٠
٤٣ــ مريم ٩
٤٤ــ رحمن ٢٧
٤٥ــ قصص ٨٨
٤٦ــ انبياء ١٠٤
٤٧ــ انعام ٩٤
٤٨ــ اعراف ١٧٢
٤٩ــ غافر ١٦

انت و زوجك الجنة[٥٠] فالوجود بعد العدم هو الهبوط منها الى الدنيا ، اهبطوا منها جميعاً[٥١] والعدم الثانى من هذا الوجود هو الفناء فى‌التوحيد و هى جنة الموحدين ، ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى[٥٢] .

المجىء الى الدنيا هو النزول من الكمال الى النقص ، والسقوط من الفطرة الاولى ، ولامحالة صدور الخلق من الخالق ليس الاعلى هذا الطريق ، و الذهاب من الدنيا الى الجنة هو التوجه من‌النقص الى الكمال، والعود الى الفطرة الاصلية ، ولامحالة رجوع الخلائق الى الخالق ليس الاعلى هذا الطريق ، الله يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون[٥٣] فالاول هو النزول والهبوط ، والاخر هوالعروج والصعود ، الاول هو افول النور ، والاخر هو طلوعه .

فقد طلعت الشمس من مغربها ، والله نورالسموات والارض[٥٤] فالعبارة من الاول ليلة‌القدر، و من الاخر يوم‌القيامة ، تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر[٥٥] و فى يوم القيامة تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة[٥٦] .

و هاهنا سر لطيف ، و هو ان موسى عليه‌السلام لما كان من اهل المبدأ و صاحب التنزيل كان من جانب الغرب ، و هو موضع افول النور ، و ما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر[٥٧] و سار باهله[٥٨] و ان عيسى عليه‌السلام لماكان من اهل المعاد و صاحب التأويل كان مكانه فى جانب الشرق ، و هو موضع طلوع النور ، واذكر فى‌الكتاب مريم اذانتبذت من اهلها مكانا شرقياً[٥٩] ، و انه لعلم للساعة فلا تمترن بها[٦٠] و ان نبينا محمد صلى‌الله عليه واله لماكان جامع النشأتين و البرزخ المتوسط بين‌الجانبين،

٥٠ـ بقره ٣٥ ٥١ـ بقره ٣٨
٥٢ـ فجر ٢٨ ـ ٣٠ ٥٣ـ روم ١١
٥٤ـ نور ٣٥ ٥٥ـ قدر ٤
٥٦ـ معارج ٤ ٥٧ـ قصص ٤٣
٥٨ـ قصص ٢٩ ٥٩ـ مريم ١٦
٦٠ـ زخرف ٦١

اما كونه جامعاً لهما ، لان له منزلة فى المبدأ لقوله صلى الله عليه و اله : كنت نبياً و ادم بين الماء والطين ، وقد قيل : لكل شيء جوهر و جوهر الخلق محمد صلى الله عليه واله ، وله مرتبة فى المعاد ، اذ هو شفيع يوم الحشر ، لقوله: ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر ، وصاحب لواء الحمد يومئذ ، لقوله: واحمده بمحامد لا اذكرها الان ، و صاحب المقام المحمود ، ليبعثك ربك مقاماً محموداً[٦١] و اما كونه متوسطا فلان قبلة موسى عليه السلام الى الغرب من وسط العالم ، و قبلة عيسى عليه السلام الى الشرق منه ، و قبلة نبينا صلى الله عليه واله ما بينهما على خط الاستواء ، و هو مع ذلك مبرأ منهما ، لقوله : لاشرقية ولاغربية[٦٢] ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون[٦٣] .

المشهد الرابع

فى الاشارة الى عالم الدنيا وعالم الاخرة ، و ذكر منازل الناس فيهما

قد سبق القول فى ان لله تعالى عالمين : عالم الدنيا و عالم الاخرة ، و نشأتين : الغيب والشهادة والملك والملكوت والخلق والامر ، و ان الناس لما كان فى مبدأ تكونهم مخلوقون عن مواد العالم الاسفل الارضى ، و لهم الارتقاء بحسب الفطرة الاولى الى جوار الله تعالى ، فالله سبحانه برحمته و عنايته خلق الانبياء و بعثهم ليكونوا هداة الخلق الى معادهم ، و قوادهم فى السفر اليه ، و سايقوهم الى منازلهم كرؤساء القوافل ، و انزل الكتب ليعلمهم و يبين لهم كيفية السفر والارتحال ، و اخذ الزاد والراحله ، و تعريف الاحوال عند الوصول الى المنازل فى الاخرة ، و هى المعبر عنها بالنبأ العظيم فى قوله تعالى : عم يتسائلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون[٦٤] والخلق ماداموا فى الدنيا ولم يصلوا الى المعاد الحقيقى ، فهم فى الظلمات والبرازخ .

والناس على حالات متفاوتة مختلفة ، فمنهم نائمون : الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، الدنيا مثل منام والعيش فيها كاحتلام ، و منهم موتى : لقوله:

٦١ــ اسراء ٧٩
٦٢ــ نور ٣٥
٦٣ــ رعد ٣
٦٤ــ نبأ ١و٢

اموات غير احياء[٦٥] وقوله : و ما انت بمسمع من فى‌القبور[٦٦]. فمن مات عن هذه الحياة المجازية الموسومة باللهو واللعب كما فى قوله تعالى : انما الحياة الدنيا لعب و لهو[٦٧] فقد انتبه عن النوم و حيى بالحياة الا بدية لقوله صلى‌الله عليه واله : من مات فقد قامت قيامته ، ولكن الموت على ضربين : احدهما الارادى ، كقوله عليه‌السلام : موتوا قبل ان تموتوا ، والاخر الموت الطبيعى، اينما تكونوا يدرككم الموت[٦٨] وكل من مات موتا اراديا اى انقطع قلبه عن الشهوات و نهى النفس عن‌الهوى ، فقد حى بالحياة السرمدية الطبيعية، كقول افلاطن : مت بالارادة تحيى بالطبيعة، و كل من مات بالموت الطبيعى فقد هلك هلاكا ابديا عقليا ، ويل لمن انتبه بعد الموت ، من كان فى هـذه اعمى فهو فى‌الاخرة اعمى واضل سبيلا[٦٩].

تنبيه

و اعلم ان سر القيامة من الاسرار العظيمة التى لم يجوز للانبياء كشفها، لانهم كانوا اصحاب الشريعة ، و اهل القيامة هم الاولياء من حيث ولايتهم و قربهم من‌الله ، و عنده علم‌الساعة[٧٠] يسألونك عن‌الساعة ايان مرسيها فيم انت من‌ذكريها الى ربك منتهاها انما انت منذر من يخشيها[٧١] لان يوم‌القيامة يوم‌الجزاء بلا عمل ، والثواب بلانصيب ، والشريعة يوم العمل بلاثـواب والتعب بلا جزاء ، والانبياء عليهم‌السلام يكونون شهداء على‌الناس و يكون الرسول شهيداً عليهم ، لقوله تعالى : فكيف اذاجئنا من كل امة بشهيد و جئنابك على هؤلاء شهيدا[٧٢] والحاكم غير الشهود، وجيىء بالنبيين والشهداء و قضى بينهم بالحق[٧٣] و بوجه اخر، الشريعة هى الطريق و المشرع العام ، والقيامة هى الغاية والمقصد ، فصاحب الشريعة من حيث كونه كذلك يقول: ما ادرى ما يفعل بى‌ولابكم[٧٤] .

٦٥ـ نحل ٢١
٦٦ـ فاطر ٢٢
٦٧ـ محمد ٣٦
٦٨ـ نساء ٧٨
٦٩ـ اسراء ٧٢
٧٠ـ زخرف ٨٥
٧١ـ نازعات ٤١ ـ ٤٥
٧٢ـ نساء ٤١
٧٣ـ زمر ٦٩
٧٤ـ احقاف ٩

المشهد الخامس

فى‌الاشارة الى علم الساعة و مجيئها ومعنى قوله تعالى: و ما امرالساعة الاكلمح البصر او هو اقرب[٧٥] ومعنى يوم‌القيامة

سميت الساعة ساعة ، لانها تسعى اليها لابقطع المسافات ، بل بحركة جبلية و توجه غريزى بقطع الانفاس الى‌الله ، فمن مات وصلت اليه ساعة ، و قامت قيامته ، و هكذا الى يوم‌الساعة العظمى والطامة الكبرى ، التى لساعات الانفاس كالسنة لمجموع الايام التى بعينها فيها اختلاف الفصول ، فامرالساعة و شأنها فى العالم اقرب من لمح البصر ، فان ثبوتها عين وصولها ، و نفوذ احكامها فى المحكوم عليهم ، و نفوذالحكم عين تمامه و عين عمارة الدارين ، فريق فى‌الجنة و فريق فى‌السعير[٧٦] .

قال بعض‌العرفاء : والحق الذى لاشك فيه ان علم‌الساعة مردود الى‌الله ، كما قال : اليه يرد علم الساعة[٧٧] و ليس للمحجوبين ان يؤمنوا بشىء من اسرارها و احوالها الا ايمان الاكمه بالالوان من طريق الغيب ، كما قال تعالى : يؤمنون بالغيب[٧٨] و كما ان مدركات البصر اسرار على حاسة الشم ، والاوليات العقلية اسرار على الحواس ، فكذلك مدركات الطور الاخرة اسرار على العقل البشرى ، و امور الساعة كلها اسرار على العلم التميزى[٧٩] فلايتصور ان يحيط بها احد مادام فى‌الدنيا ولم يتخلص عن‌اسرا الوهم و تغليظ الخيال .

وقول الكفار متى هذا الوعد ان كنتم صادقين[٨٠] سؤال عما يستحيل الجواب عنه على موجبه و مقتضاه ، فان امرالساعة اذا كان كلمح البصر او هو اقرب[٨١] و متى كان سؤالا عن زمان الحركات الزمانية ، استحال جواب السائل عنه ، وهو كقول القائل اذا وصفنا له المبصرات والالوان ، كيف يشم او كيف يسمع هذه الملونات ؟ والجواب الحق من ذلك ان يقال لهم : العلم

٧٥ـ نحل ٧٧
٧٦ـ شورى ٧
٧٧ـ فصلت ٤٧
٧٨ـ بقره ٣
٧٩ـ التميزى (ن م)
٨٠ـ يس ٤٨
٨١ـ نحل ٧٧

بذلك عندالبصر، وكذلك الجواب الحق مع الكفار اذ قالوا متى هذا الوعد، ان يقال لهم : العلم بذلك عندالله ، فمن رجع الى الله عزوجل وحشر اليه وكان عنده ، فلابد حينئذ ان يعرف علم الساعة بالضرورة ، لانه عنده ، و عنده علم الساعة[٨٢] فلاتمترن بها[٨٣] .

واعلم ان القيامة من داخل حجب السموات والارض ، ومنزلتها من تلك الحجب منزلة الجنين من رحم امه ، ولذلك لايقوم الساعة الا اذا زلزلت الارض زلزالها[٨٤] و انشقت السماء وانتثرت الكواكب وكورت الشمس ودكت الجبال دكة واحدة ، و بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور[٨٥] .

وبالجملة يتبدل الارض غير الارض، فمادام السالك خارج حجب السموات والارض ، فلا يقوم له الساعة ، و انما كانت القيامة داخل هذه الحجب ، و عنده علم الساعة[٨٦] فقوله صلى الله عليه و اله : لايقوم الساعة و على وجه الارض من يقول الله الله ، معناه : ان الرجل مادام خارج الحجب، فالقيامة سر على علمه ، فاذا قطعت تلك الحجب و تبجح فى حضرة العندية ، صار سر القيامة علانية عنده ، و لذلك لم يجز ان يرى الله و امور القيامة احداً ، لانبى ولا وصى مادام فى الدنيا ، و ان نبينا محمداً صلى الله عليه و اله : انما كانت القيامة عنده علانية حين قطع حجب السموات والارض و نفذ من اقطارها، فلما رجع الى مستقره من خارج الحجب ، كان ذلك العلم عنده سرا كما كان قبل ذلك ، و انما كان علانية له من وراء الحجب .

وعلى الجملة فالسر سر ابداً حيث هو سر ، والعلانية علانية ابداً من حيث هى علانية، كما اشير اليه بقوله : يسألونك عن الساعة ايان مرسيها، فيم انت من ذكريها[٨٧] .

المشهد السادس
فى تحقيق القيامة والبعث

القيامة قيامتان : الصغرى و هى معلومة ، من مات فقد قامت قيامته،

٨٢ــ زخرف ٨٥
٨٣ــ زخرف ٦١
٨٤ــ زلزال ١
٨٥ــ عاديات ٩ و ١٠
٨٦ــ زخرف ٨٥
٨٧ ــ نازعات ٤٢و٤٣

والكبرى و لها ميعاد عندالله، وكلما فى القيامة الكبرى له نظير فى الصغرى، و مفتاح العلم بيوم القيامة و معاد الخلائق هو معرفة النفس و مراتبها، والموت كالولادة. فقس الاخرة بالاولى، ما خلقكم و لابعثكم الا كنفس واحدة[۸۸] و من اراد ان يعرف معنى القيامة الكبرى، و ظهور الحق بالوحدة التامة، و عود الروح الاعظم و مظاهره اليه، و فناء الكل عنده حتى الافلاك والاملاك والارواح والنفوس، كما قال تعالى: فصعق من فى السموات و من فى الارض الا من شاء الله[۸۹] فليتأمل فى الاصول التى سبق منا ذكره، من توجه كل سافل الى عال، و رجوع كل شىء الى اصله، و من اثبات الغايات الذاتية للاشياء الطبيعية، و من نظر فى الانقلابات الواقعة فى اطوار الخلقة الانسانية، و يتحقق بمعنى قوله سبحانه: يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه[۹۰] برهانا و كشفاً لاسماعا و تقليداً، لم يشكل عليه التصديق بالقيامة الكبرى، كما قال تعالى: ولله ميراث السموات والارض[۹۱].

و من تنور قلبه باليقين يشاهد تبدل اجزاء العالم و اعيانها و طبايعها فى كل لحظة، فالكل متبدلة و تعيناتها متزايلة، و من شاهد حشر جميع القوى الانسانية مع تباينها و اختلاف مواضعها فى البدن الى ذات واحدة بسيطة روحانية، و رجوعها اليها واضمحلالها فيها، هان عليه التصديق برجوع الكل الى الله الواحد القهار.

و اعلم ان للروح الانسانى نشات كثيرة بعضها قبل الموت و بعضها بعد الموت، و لها منازل و درجات متنوعة و مقامات مختلفة، و اسم الاخرة يطلق على الاحوال والمقامات التى لها بعد انقطاعها عن العلاقة الجسدانى الى ابدالاباد، و جميع الشرائع و الاديان المنزلة متفقة على بقاء الروح بعدالموت.

فى الحديث عن النبى صلى الله عليه واله انكم خلقتم للابد[۹۲] انما تنقلون من دار الى دار، و ورد ايضاً: ان التراب لايأكل محل الايمان والمعرفة،

۸۸ــ لقمان ۲۸ ۸۹ــ زمر ۶۸
۹۰ــ انشقاق ۶ ۹۱ــ آل‌عمران ۱۸۰
۹۲ــ و فى الجوامع: للبقاء

و ان ارواح الشهداء فی حواصل طیر خضر، لها قنادیل معلقة تحت العرش یسرح فی‌الجنة حیث شاءت، ثم تأوی الی تلک القنادیل، و مع ان الروح جوهر واحد، لکنها متقلبة الاحوال فی جوهریته، متعددة النشآت فی ذاته، کما اشار الیه بعض اکابر العرفاء فی نظمه حیث قال[٩٣] :

الـــروح واحـــدة و النشأ مختلف
فی صورة الجسم هذا الامر فـاعتبروا
فی الجسم کان اختلاف النشوفاعتمدوا
علی الذی قلته فـی ذاک وادکـروا
هـذا هـو العلم لاریب بـداخـلـه
والشمس تعرف مـا قـلـنـاه والقمـر

کشف تفصیلی

لما علمت اجمالا ان الروح واحدة والنشات مختلفة فاعلم : ان لها بعد النشات السابقة المبتدأة من نشأة العهد القدیم فی قوله : الست بـربکم قالوا بلی[٩٤] المنتهیة الی هذه النشأة الحسیة المعروفة للکل المسماة بالدنیا، نشات و مواطن کثیرة لاحقة، بعضها یختص السعداء، و بعضها مشترکة بین السعداء والاشقیاء، کلها بعدالدنیا.

فاول هذه النشات نشأة البرزخ والقبر، و من ورائه برزخ الی یـوم یبعثون[٩٥] و فیها عجائب لایعد ولا یحصی، و من عجائبها تجسم الاعمال و تشخص النیات والاخلاق، یوم تجدکل نفس ما عملت من خیر محضراً، وما عملت من سوء تودلو ان بینها و بینه أمداً بعیدا[٩٦] یحشر الناس یوم‌القیامة علی نیاتهم، و من عجائبة ان باطن الانسان یصیر ظاهره و ظاهره یصیر باطنه :

٩٣ـ و هو شیخ الاکبر محی الدین الاعرابی قدس سره فی‌کتابه المسمی بالفتوحات المکیة.

٩٤ـ اعراف ١٧٢ ٩٥ـ مؤمنون ١٠٠

٩٦ـ آل‌عمران ٣٠

گـر ز علم او بـرون علـم دارد
زيـرپـوشى ز جهـل هـم دارد
آنچه امـروز زيـرپـوش بـود
آن زبـرپـوش حشر خواهد بـود

يوم لاينفع مال ولابنون الامن اتى‌الله بقلب سليم[٩٧] و تفاصيل أحكام هذه النشأة طويلة، و صاحب الفطنة يستفيد منها انموذجاً من أحوال المنامات و علم التعبير، الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها[٩٨].

والثانية نشأة الحشر، و نسبتها الى الاولى نسبة التمام الى النقص، و نسبة القوة الى الضعف، و هذه النشأة فى صورة النشأة العنصرية حذو القذة بالقذة، وقد اخبر عنها تعالى بقوله: اولم يرالانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين، و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه، قال من يحيى العظام و هى رميم، قل يحييها الذى انشأها اول مرة و هو بكل خلق عليم[٩٩] و فى احكام هذه النشأة و احوالها عجائب لاتعد ولا تحصى والعقل الغير المنور بنور الولاية والنبوة يعجز عن ادراك اكثرها، ولا يمكن ادراكها الا بنور التقليد الايمانى، او بنور الـكشف العيانـى، وابعد الطوائف عـن ادراك احوالها الجسمانية هم اصحاب البحوث والافكار النظرية كالمتكلمين و المتفلسفين، قال تعالى: فانما هى زجرة واحدة فاذاهم بالساهرة[١٠٠] والساهرة هى‌ارض الحشر، اذ لايوم فيها، ويومها يوم‌الواقعة، فيومئذ وقعت‌الواقعة[١٠١] و انشقت السماء فهى يومئذ واهية[١٠٢].

و من عجائب هذا اليوم ان مقداره بالنسبة الى طائفة خمسين الف سنة، و بالنسبة الى طائفة اخرى لمحة واحدة، و حكاية الجوهرى فى هذا الباب نافعة جداً، و فى الازمنة والامكنة و تفاوتها طولا و قصراً بحسب تفاوت النشات كثافة و لطافة، اسرار عجيبة لايليق ايرادها فى هذا المقام.

و لبعض المحققين من اكابر عرفاء الشيراز رسالة شريفة فى اسرار

٩٧ـ شعراء ٨٩ — ٩٨ـ زمر ٤٢
٩٩ـ يس ٧٧ ـ ٧٩ — ١٠٠ـ نازعات ١٣ و ١٤
١٠١ـ حاقه ١٥ — ١٠٢ـ حاقه ١٦

الزمان والمكان ، يسمى غاية الامكان فى دراية الزمان والمكان* ، و هى درة يتيمة فى بابها ، و نحن ذكرناها فى تفسيرنا لسورة الواقعة تحقيق قوله تعالى : قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم[١٠٣] ولفظ القيامة ايضاً مشترك الدلالة عند اهل البصائر ، فيطلق على هذا اليوم المعين و يسمى بالقيامة الكبرى ، و يطلق على يوم الموت الطبيعى الشخصى ويقال له : القيامة الصغرى ، لقوله صلى‌الله عليه واله : من مات فقد قامت قيامته، و يطلق على فناء الكل بالمحو و الطمس فى‌الله سبحانه و يقال له : القيامة العظمى ، حيث لايبقى احد الا الحى القيوم لقوله تعالى : لمن الملك اليوم لله الواحد القهار[١٠٤] و يسمى بالطامة الكبرى و فيه يقع الصعق الكلى، لقوله: فنفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض[١٠٥] و ذلك لظهور الحق بالوحدة الذاتية عند وصول الاشياء الى غاياتها الحقيقية ، و انقضاء ازمنة دول الاسماء وانتهاء احكا مسلطنتها .

و جاء فى الخبر الصحيح : ان الحق سبحانه يميت جميع الموجودات حتى الملائكة و ملك الموت ايضاً ، ثم يعيدها للفصل والقضاء بينهم ، فينزل كل منزلة من‌الجنة، ولاتظنن ان تلك الاماتة الواردة فى هذا الخبر من باب الاعدام والافساد ، بل من باب الايجاد والتكميل ، فان الانتقال من نشأة الى نشأة اخرى فوقها هذا شأنه ، لانه موت بالقياس الى النشأة الاولى ، حياة بالنسبة الى الاخرى ، و هذه القيامة العظمى هى غيرما يقع للسالكين العارفين من الكمل و الافراد معجلا ، الذين قدقامت قيامتهم و فنوا فى‌الحق و هم بعد فى حياتهم الطبيعية الدنياوية صورة ، فيتجلى الحق لهم تجلياً ذاتيا فاندك جبل هويتهم ،كما قال سبحانه : فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا و خر موسى صعقاً[١٠٦] و نسبة هذا الصعق الى الصعق الكلى

* ــ لايخفى عليكم قد اشتهر ان كتاب غاية المكان فى دراية الزمان من مصنفات العارف الصمدانى عبدالله بن محمد الميانجى الهمدانى المشتهر بعين‌القضاة ، و الحق انه من مصنفات تاج‌الدين محمدالاشنوى من اكابر المأة السابعة و ان كتاب غاية الامكان فى دراية الزمان بعينه كتاب غاية المكان فى دراية الزمان ، والعلم عندالله .

١٠٣ــ واقعه ٥٠
١٠٤ــ غافر ١٦
١٠٥ــ زمر ٦٨
١٠٦ــ اعراف ١٤٣

المسمى بالقيامة العظمى ، كنسبة القيامة الصغرى الى القيامة الكبرى ، فافهم.
و هذه كلها غير العلمى الذى قد يقع للعلماء الذين ليسوا من ارباب الكشف الحالى ، لبقائهم عينا و صفة ، فان بين من تصور الحلاوة و بين من يذوقها فرقانا عظيما ، وهذا الفناء الذى للسالك على ضربين : احدهما ان يزول عنه التعين الذاتى والاسمائى ، ليرجع وجوده الى وجود الحق بارتفاع وجوده المقيد، والاخران يتبدل صفاته البشرية بالصفات الالهية دون الذات، فكلما ارتفعت صفة من صفاتها قامت صفة الهية مقامها ، فيكون الحق فى سمعه و بصره كما نطق به الحديث ، والاول اعلى ، و كل منهما قد يكون معجلا و قد يكون مؤجلا ، و هوالساعة الموعودة فى السنة الانبياء عليهم السلام كما اشرنا اليه .
و بعد نشأة الحشر للسعداء نشأتان اخرتان : و للاشقياء نشأة اخرى واحدة هى نشأة الجحيم والنار ، و ذلك لان السعداء قسمان : احدهما من المقربين وهم المجردون عن الاجسام الطبيعية و الاخروية والابدان الحسية والمثالية ، فيحشرون الى العالم الاعلى العقلى ، و نعيمهم جنات المعارف ، اذ فى عالم العقل جميع صور ما فى الجنان على وجه اعلى و اشرف ، اذ لكل نوع مثال عقلى هناك فى غاية الشرف ، و هم العليون ، و قد ورد : اكثر اهل الجنة البله ، و عليون لذوى الالباب ، والثانى من اصحاب اليمين ، وجناتهم جنات الاعمال يتنعمون فيها بحسب مواريث اعمالهم و شهوات نفوسهم ، لقوله تعالى : فيها ما تشتهيه الانفس و تلذ الاعين [۱۰۷] و قوله : فيها ما تشتهى انفسكم و لكم فيها ما تدعون[۱۰۸] (و هم فى ما اشتهت انفسهم خالدون) [۱۰۹] و قوله : فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون[۱۱۰] و اما الاشقياء والكفار فلهم بعد نشأة الحشر نشأة واحدة ، و كلهم فى العذاب مشتركون ، و تلك النشأة هى نشأة الجحيم يتقلبون فيها بانواع العذاب، كما قال : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب[۱۱۱] اعيد

۱۰۷ـ زخرف ۷۱
۱۰۸ـ فصلت ۳۱
۱۰۹ـ انبياء ۱۰۲ (فى بعض النسخ)
۱۱۰ـ سجده ۱۷
۱۱۱ـ نساء ۵۶

بالله نفسى من وخامة احوالهم و سوء اهوالهم .

المشهد السابع

فى معنى متى و اين بالنسبة الى قيام الساعة

اعلم ان اهل الحجاب و اصحاب الظن والارتياب يزعمون يوم القيامة بعيداً عن الانسان بحسب الزمان ، و ما اظن الساعة قائمة[١١٢] و بحسب المكان، ويقذفون بالغيب من مكان بعيد[١١٣] واما اهل العلم واليقين فيرونه قريبا بحسب الزمان ، اقتربت الساعة[١١٤] حاضراً بحسب المكـان ، و اخذوا مـن مكـان قريب[١١٥] انهم يرونه بعيداً و نراه قريباً[١١٦] و كان نبينا صلى الله عليه واله : يشاهد خازن الجنة و يتناول من ثمارها و فواكهها ، و لم يحكم بكون حارثه مؤمناً حقاً ما لم يكن مشاهداً للاخرة و احوال اهل الجنة و اهل النار، اذ قال له : كيف اصبحت ؟ قال : اصبحت مؤمناً حقا . فقال عليه‌السلام : لكل‌حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ قال : رأيت اهل الجنة يتزاورون ، الحديث .

و اعلم ان الدنيا كون ناقص ، و ما فى‌الدنيا امور ضعيفة الوجود متعلقة الذوات بغيرها ، ولنقص تكونها و ضعف وجودها و تغيرها من حال الى حال يحتاج كالاطفال الضعفاء الى مهد كالمكان و داية كالزمان ، و كل من الزمان والمكان فى غاية الضعف والنقص ، فوجود كل جزء من المكان يقتضى عدم غيره ، و حضور كل جزء من الزمان يستدعى غيبة ماسواه ، و اما الاخرة فهى كون تام مستقل ، والوجودات الاخروية قوية الوجود ، مبرأة عن القوة والاستعداد ، و معراة عن التفاسد والتضاد ، فليس لمكانها و زمانها تجدد و انقضاء ، و لا احتجاب و انتهاء ، بل هذان مسلوبان هناك ، لكن اذا اريدان يخبرعنها للمحبوسين فى‌سجن الزمان‌والمكان، لايمكن ذلك‌الابامثلة زمانية او مكانية ، و اذا اشير الى زمانها واجيب عن متاها يعبر عنه باقل زمان، وهو ما يسميه الجمهور اناً ، فيقال : و ما امر الساعة الا كلمح البصر او هو

١١٢ـ كهف ٣٦
١١٣ـ سبا ٥٣
١١٤ـ قمر ١
١١٥ـ سبا ٥١
١١٦ـ معارج ٧

اقرب[١١٧] و اذا اشير الى مكانها واجيب عن اينها يعبر عنه باوسع مكان ، لان المكان شأنه السعة والحيطة ، فيقال : جنة عرضها السموات والارض[١١٨] وامر الابداع كامرالاعادة غير زمانى ، و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر[١١٩] و ظهر من هذا الوجه ايضا التشابه بين المبدأ والمعاد .

المشهد الثامن

فى تحقيق عذاب القبر و ثوابه و البعث

قال بعض اهل الكشف والشهود ، كل من شاهد بنور البصيرة باطنه فى‌الدنيا لراه مشحونا باصناف السباع و انواع الموذيات ، مثل الغضب و الشهوة والحقد والحسد و الكبر والعجب والرياء و غيرها و هى التى لاتزال تفترسه و تنهشه ان ينهى عنها بلحظة ، الا ان اكثر الناس محجوب العين عن مشاهدتها ، فاذا انكشف الغطاء بالموت و وضع فى قبره عاينتها ، و هى محدقة عليه، وقد تمثلت بصورها و اشكالها الموافقة لمعانيها ، فيرى بعينه العقارب والحيات قداحدقت ، و انما هى ملكاته و صفاته الحاضرة الان ، و قد انكشفت له صورها الطبيعية ، فان لكل معنى صورة تناسبه ، و لكل حقيقة مثالا يحاكيه ، فهذا عذاب القبر .

وقدمر تحقيق ان هذه الصورة حسية عينية‌لاانها وهمية محضة، وان كان سعيداً تمثل له ما يناسب اخلاقه الحسنة و ملكاته المرضية ، وقد اشرنا الى تحقيق معنى القبر و عذابه حسبما ذكره بعض العلماء[١٢٠] ناقلا من بعض الاقدمين، من: ان نفس‌الانسان اذا تجردت عن غبارالبدن ليس يصبحها شىء من الهيئات الطبيعية البدنية ، و هى عند الموت عارفة[١٢١] بمفارقة البدن و عن دارالدنيا ، مدركة ذاتها[١٢٢] بقوتها الوهمية عين الانسان المقبور الذى مات

١١٧ـ نحل ٧٧ ١١٨ـ آل‌عمران ١٣٣

١١٩ـ قمر ٥٠

١٢٠ـ وهوحجة‌الاسلام الامام محمدالغزالى فى‌كتابه المسمى : المضنون به على غير اهله.

١٢١ـ عالمة بمفارقتها عن البدن (المضنون)

١٢٢ـ متوهمة نفسها (المضنون)

على صورته ، كما كان فى‌الرؤيا تشاهد نفسها على صورتها التى كانت فى الدنيا بعينها ، و تشاهد الامور مشاهدة عيان بحسها الباطنى ، فيرى بدنها مقبوراً ، و تشاهد الالام الواصلة اليها على سبيل العقوبات الحسية على ما وردت به الشرايع الحقة ، و هو[١٢٣] عذاب القبر، وان كانت سعيدة فيتخيل ذاتها و صور اعمالها و نتائج ملكاتها و سائر المواعيد النبوية على وفق ما كانت يعتقدها او فوقها ، من الجنات و الحدائق و الانهار و الغلمان والحورالعين والكأس من‌المعين، فهذا ثواب‌القبر، ولذلك قال‌النبى‌صلى‌الله عليه واله : القبر اما روضة من رياض الجنةاوحفرة من حفرالنيران ، فالقبر الحقيقى هذا الهيئات ، و عذابه و ثوابه ماذكرناه .

و اما البعث فهو خروج النفس عن غبار هذه الهيئات المحيطة بها ، كما يخرج الجنين من القرار المكين ، و قد مرت الاشارة سابقا الى ان دنياك و اخراك ليست الا حالتاك[١٢٤] قبل‌الموت و بعدالموت ، قال تعالى : قل يحييها الذى انشأها اول مرة[١٢٥] الاية .

المشهد التاسع

فى‌الاشارة الى معنى الحشر

اعلم ان الزمان علة التغير والتعاقب والاحتجاب بوجه ، والمكان علة التكثر والافتراق والاغتياب بوجه ، فهما سببان لاختفاء الموجودات و احتجاب بعضها عن بعض ، فاذا ارتفعا فى القيامة ، ارتفعت الحجب بين الخلائق ، فيجتمع الخلائق كلهم والاولون و الاخرون ، قل ان الاولين و الاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم[١٢٦] فهى يوم الجمع ، يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن[١٢٧] و بوجه اخر ذلك يوم الفصل، لان الدنيا دار اشتباه و مغالطة ، يتشابك فيها الحق والباطل ، و يتعانق فيه الوجود و العدم و الخير والشر والنور والظلمة ، و فى الاخرة يتقابل

١٢٣ـ فهذا (المضنون)
١٢٤ـ حالالك (ن م ل)
١٢٥ـ يس ٧٩
١٢٦ـ واقعه ٥٠
١٢٧ـ تغابن ٩

المتخاصمان و يتفـ ـق المتخالفان ، و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقـون[١٢٨] و فيها يتميز المتشابهان ، ليميزالله الخبيث من الطيب[١٢٩] و ينفصل الخصمان، ليحق الحق و يبطل الباطل[١٣٠] ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حى عن بينة[١٣١] ولا منافاة بين هذا الفصل و ذلك الجمع ، بل هذا يوجب ذلك، هذا يوم الفصل جمعناكم و الاولين[١٣٢] والحشر ايضاً بمعنى الجمع ، و حشرناهم فلم نغادر منهم احداً[١٣٣].

اعلم ان حشر الخلائق على انحاء مختلفة على حسب اعمالهم و ملكاتهم، فلقوم على سبيل‌الوفد ، يوم نحشرالمتقين الـى الـرحمن وفدا[١٣٤] و لقوم على سبيل التعذيب ، يوم يحشر اعداء الله الى النار[١٣٥] و لقوم : و نحشر المجرمين يومئذ زرقا[١٣٦] و لقوم : و نحشره يوم القيامة أعمى[١٣٧] و قوم : يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون[١٣٨] و بالجملة يحشر كل احد الى غاية سعيه و عمله ، و ما يحبه و يشتاق اليه المرء يحشر مع من احب ، احشروا الذين ظلموا و ازواجهم[١٣٩] فوربك لنحشرنهم والشياطين[١٤٠] حتى انه لو احب احدكم حجراً يحشر معه ، و لما كان تكرر الافاعيل يوجب حدوث الاخلاق والملكات ، و لكل صفة و ملكة تغلب على الانسان يتصور فى الاخرة بصورة تناسبها ، ولاشك ان افاعيل الاشقياء المدبرين ، المتوقفين بحسب هممهم القاصرة عن الارتقاء الى عالم الملكوت فى البرازخ الحيـوانية، فلاجرم يكون تصوراتهم مقصورة على اغراض حيوانية تغلب على نفوسهم ، فيحشرون على صور تلك الحيوانات فى‌الدار الاخرة ، و اذا الوحوش حشرت[١٤١] يحشر بعض الناس على صورة يحسن عندها القردة والخنازير، و هكذا يتمثلون بصورهم الحقيقية الاخروية لاهل الكشف والشهود فى هذه

١٢٨ــ روم ١٤ ١٢٩ــ انفال ٣٧
١٣٠ــ انفال ٨ ١٣١ــ انفال ٤٢
١٣٢ــ مرسلات ٣٨ ١٣٣ــ كهف ٤٧
١٣٤ــ مريم ٨٥ ١٣٥ــ فصلت ١٩
١٣٦ــ طه ١٠٢ ١٣٧ــ طه ١٢٤
١٣٨ــ غافر ٧١و٧٢ ١٣٩ــ صافات ٢٢
١٤٠ــ مريم ٦٨ ١٤١ــ تكوير ٥

النشأة، لظهور سلطان الاخرة علی باطنهم، ان فی ذلك لايات لقوم يعقلون[١٤٢]

المشهد العاشر

فی‌ذكر اصناف الخلائق فی‌القيامة و ذكر الجنة والنار

الناس بالقياس الی سلوك الاخرة علی درجات ومقامات كثيرة، جميعها منحصرة فی ثلاثة اقسام، و كنتم ازواجاً ثلاثة، فاصحاب الميمنة الی قوله اولئك المقربون[١٤٣] و كذلك قوله: فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات[١٤٤] فالسابقون هم اهل التوحيد والعلماء بالله واليوم الاخر، وهم الاحرار، المنزهون عن الطريق والسلوك، لوصولهم الی المقصود، بل‌هم مقصدالسالكين، ولاتعد عيناك عنهم[١٤٥] وهم الذين قيل فی وصفهم: ان حضروا لم يعرفوا، و ان غابوا لم يفقدوا.

و اما اهل اليمين: فهم اهل السلوك و اصحاب العمل، وهم الابرار، و لهم مراتب علی حسب اعمالهم، و لهم درجات فی مثوباتهم علی حسب درجات الجنان، و لكل درجات مما عملوا[١٤٦].

و اما اهل الشمال: فهم الاشرار، المقيدون بالسلاسل والاغلال، و لهم ايضاً دركات بحسب دركات الجحيم، و كلهم فی العذاب مشتركون، قال: لكل ضعف و لكن لاتعلمون[١٤٧] فانهم يومئذ فی العذاب مشتركون[١٤٨]

و كل من الثلاثة لابد لهم من ورودهم الجحيم، و ان منكم الا واردها كان علی ربك حتما مقضيا[١٤٩] لكن السابقين المقربين يمرون علی الصراط كالبرق الخاطف، من غير ان يصل اليهم اثرحرها، كما قال واحد من الائمة المعصومين عليهم‌السلام: جزناها و هی خامدة، و اما اهل الشمال فيقيدون فيها ويتعلقون بسلاسلها، ثم ننجی الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا[١٥٠] والسابقون هم اهل الاعراف، و علی الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم[١٥١]

١٤٢ـ رعد ٤
١٤٣ـ واقعه ٧ ـ ١١
١٤٤ـ فاطر ٣٢
١٤٥ـ كهف ٢٨
١٤٦ـ احقاف ١٩
١٤٧ـ اعراف ٣٨
١٤٨ـ صافات ٣٣
١٤٩ـ مريم ٧١
١٥٠ـ مريم ٧٢
١٥١ـ اعراف ٤٦

و من علاماتهم تشابه احوالهم لاجل ارتفاعهم بحسب علومهم الحقة عن تغير المواد و الازمنة والاوقات ، واطلاعهم على سر القدر ، لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم[١٥٢] و اهل الشمال اهل التضاد ، لتقيدهم بعالم الاجسام المستحيلة المتضادة،والمواد المتقلبةفي احوالها المتقابلة، كالكون والفساد والموت والحياة والمحنة والراحة والصحة والمرض واللذة والالم و غير ذلك ، و ذلك لتقيدهم بحسب هوياتهم و ذواتهم ، حيث لانجاة للشخص من نفسه ، فكيف من تبعاته ولواحقه ، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب[١٥٣] فلاجرم لم يزالوا بين امور متضادة كالسموم و الزمهرير والظل والحرور ، يترددون الى الهاوية بين طرفي التضاد ، فان الهاوية من سنخ هذا الدار ، يبرزيوم القيامة عند كشف الغطاء ، و برزت الجحيم لمن يرى[١٥٤] فمن كان فيها يتعذب تارة باحدالضدين و تارة بالاخر، لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم ظلل[١٥٥] .

بزمين بگذرد بدوزندش بهوا بگذرد بسوزندش

و هاهنا دقيقة : و هي ان الاشقياء لما كانوا في الدنيا خارجين عن قيود الشرع ، مسرحين عن عقال الدين في ارض الشهوات الحسية ، خالعين عذار العقل و زمام الشرع ، فلاجرم يقيدون في الاخرة بالسلاسل والاغلال ، يعذبون بفنون العذاب والنكال ، يحتجبون بانواع الحجاب والضلال ، كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها[١٥٦] .

اما الابرار : فلهم الارتقاء من كمال الى كمال ، و هم في الغرفات امنون[١٥٧] لهم غرف من فوقها غرف[١٥٨] و هم المتخلصون المتنزهون من عذاب اهل التضاد ، لاخوف عليهم ولاهم يحزنون[١٥٩] و حيث كانوا في الدنيا مجبورين في طاعة الحق ، و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم[١٦٠] فيكون لهم الخيرة في الاخرة مطلقا،

١٥٢ــ حديد ٢٣
١٥٣ــ نساء ٥٦
١٥٤ــ نازعات ٣٦
١٥٥ــ زمر ١٦
١٥٦ــ سجده ٢٠
١٥٧ــ سبا ٣٧
١٥٨ــ زمر ٢٠
١٥٩ــ بقره ٦٢
١٦٠ــ احزاب ٣٦

لهم فيها ما يشاؤن[١٦١] ليكون لكل من السعداء والاشقياء بحكم العدالة نصيب من الجبر ونصيب من الاختيار على التعاكس فى النشأتين .

و لما تبين فى مقامه : ان جميع ما هو ثابت فى المرتبة السفلى من الاحوال والصفات ، فهو ثابت فى العالم الاعلى على وجه ارفع و اشرف واصفى و انور ، حتى ان التضاد الواقع فى هذا العالم الموصوف به اصحاب الشمال يوجد فى اهل الجنان و الابرار ، لكن ملابستهم اياه ليس على وجه التضاد الحقيقى ، بل على وجه يليق بذلك العالم ، فان التضاد فى عالم التفرقة يوجب التفاسد والبطلان ، و فى عالم الجمعية يوجب التمامية والكمال ، فتضاد اهل النار كحرارة السموم و برودة الزمهرير ، و تضاد اهل الجنة : ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا[١٦٢] يسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا[١٦٣] والكافور والزنجبيل ليسا متضادين هناك ، لان عالمهم يرتفع عن عالم التضاد ، و كذلك النزاع بينهم ليس تخاصما حقيقياً ينشأ من غل الصدور ، و يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم[١٦٤] لصفاء قلوبهم و ارتفاع جواهرهم عن عالم التفرقة و مضيق التضاد ، و نزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين[١٦٥] و كذلك اتصاف ملائكة الله بالاختصام.

و اما مخاصمة اهل النار فهى حقيقية ، ان ذلك لحق تخاصم اهل النار[١٦٦] و لذلك كلما دخلت امة لعنت اختها[١٦٧] فقد علم مما ذكر : ان المتضادين من جهة ان كليهما وجودين ، والوجود خير محض ، ينبغى ان يكون كلاهما منشأ الارتياح ، لكن بالقياس الى ما ليس ، لضيق وعائه الوجودى مقصور الذات فى احد الطرفين ، مختصاً باحدهما ، كالماء والنار و ما يجرى مجراهما من الجواهر والاعراض الكثيفة المادية ، فان الذات الكاملة المرتفعة عن عالم التضاد ، مسلمة عن شر التضاد ، بل ربما يكون كلا الطرفين يفعل فعلا كفعل الاخر باعثاً لسلامته ، كما فى قوله تعالى : قلنا يا

١٦١- فرقان ١٦
١٦٢- دهر ٥
١٦٣- دهر ١٧
١٦٤- طور ٢٣
١٦٥- حجر ٤٧
١٦٦- ص ٦٤
١٦٧- اعراف ٣٨

نار كونى برداً و سلاما على ابراهيم[١٦٨] لكونه من اهل برد اليقين ، و هذا بخلاف احوال الظانين بالله ظن السوء[١٦٩] .

المشهد الحادى عشر

فى الاشارة الى صراط[١٧٠] طريق الحق

اعلم ان لكل شىء حركة جبلية و توجها غريزيا الى الله سبحانه ، و هذا المعنى مشاهد لمن انكشف النقاب عن بصيرته فى أكثر الموجودات ، و خصوصاً فى الانسان لسعة دايرة وجوده و عظم قوسه الصعودى ، و للانسان مع تلك الحركة الكمالية الجبلية حركة ارادية دينية ، و انك لتهدى الى صراط مستقيم ، صراط الله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض[١٧١] فالاستقامة عليه والتثبت فيه ، هوالذى أراده الله من عباده و ارسل رسوله اليهم و انزل الكتاب عليهم لاجله ، و باقى الصراط ليس شىء منها ، هذا الصراط المختص باهل الكمال ، بل كل واحد منها يؤدى سلوكه الى صفة من صفاته تعالى واسم من اسمائه غير اسم الله ، كما حققه العرفاء ، و دل عليه الحديث المشهور ، قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا و من اتبعنى[١٧٢] و الاستقامة عليه هى المراد بقوله تعالى : فاستقم كما امرت و من تاب معك ولاتطغوا[١٧٣] والانحراف عنه يوجب السقوط عن الفطرة والهوى الى جهنم التى قيل لها: هل امتلات، وتقول هل من مزيد[١٧٤] وهذا الصراط هو المدعو فى قوله تعالى : اهدنا الصراط المستقيم[١٧٥] ادق من الشعر واحد من السيف.

لان كمال الانسان فى سلوكه الى الحق منوط باستعمال قوتيه ، اما العلمية فبحسب اصابة اليقين فى الانظار الدقيقة التى هى ادق من الشعر، و اما العملية فبحسب توسط قواه الثلاثة الشهوية والغضبية والفكرية فـــى

١٦٨ـ انبياء ٦٩ ١٦٩ـ فتح ٦

١٧٠ـ الى الصراط (ن م) الى الصراط الصراط طريق (ن ل)

١٧١ـ شورى ٥٢و٥٣ ١٧٢ـ يوسف ١٠٨

١٧٣ـ هود ١١٢ ١٧٤ـ ق ٣٠

١٧٥ـ فاتحه ٥

الاستعمال، لتحصيل مكارم الاخلاق وملكة العدالة قال الله تعالى: وانك لعلى خلق عظيم[١٧٦] و هى احد من السيف، فالصراط المستقيم له وجهان: احدهما ادق من الشعر والاخر احد من السيف، و الانحراف عن الوجه الاول يوجب الهلاك الدائم، ان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط لناكبون[١٧٧] و الوقوف على الوجه الثانى يوجب الشق والقطع، كما قيل: من وقف عليه شقه، واليه اشير بقوله تعالى: يسحبون فى الحميم[١٧٨] و بقوله: اثاقلتم الى الارض، ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة[١٧٩]؟ و قوله صلى‌الله عليه واله كما حكاه الله عنه: ان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه[١٨٠] اى مروا على صراط الاخرة مستوياً من غير انحراف و ميل.

و تحقيق ذلك: ان كمال الادمى فى المشابهة بالملائكة، وهم منفكون عن هذه الاوصاف المتضادة، و ليس فى قدرة البشر الانفكاك عنها بالكلية مادام فى‌الدنيا، فكلف الله عباده بما يشبه الانفكاك، و ان لم يكن حقيقة الانفكاك، و هوالتوسط، فان المتوسط بين الضدين بمنزلة الخالى عنها، فان الفاتر يقال له: لاحار ولابارد، والفيلى لاابيض ولااسود، فالبخل والتبذير من صفات الانسان، والسخى كأنه لا بخيل ولامبذر، فالذى يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط، ولو فرضنا حلقة حديدة محماة بالنار، و وقع نملة فيها، فهى تهرب بطبعها من الحرارة، ولا يمرالا على المركز، لانه الوسط الذى فى غاية البعد عن المحيط المحرق، وكلا جانبى هذا الصراط جحيم، و لهذا قيل: اليمين والشمال مضلة، هذا بالقياس الى طائفة.

و اما بالنسبة الى طائفة اخرى كطريقة اهل الاعراف و هم الموحدون، الذين يعرفون كلا بسيماهم[١٨١] فالجنة على يمينهم والنار على شمالهم، و هذا الصراط يظهر يوم القيامة على الابصار، و على قدر نورالمارين عليه، يكون سرعة مشيهم و مرورهم الى الجنة، فيكون دقيقاً فى حق بعض‌الناس، جليلا

١٧٦ـ قلم ٤
١٧٧ـ مؤمنون ٧٤
١٧٨ـ غافر ٧١و٧٢
١٧٩ـ توبه ٣٨
١٨٠ـ انعام ١٥٣
١٨١ـ اعراف ٤٦

فی حق اخرین، و کذلك يختلف مقدار زمان المرور طولا و قصراً بحسب تفاوت نور الايمان شدة و ضعفاً، کما ورد فی الخبر و يصدق ذلك قوله تعالى: نورهم يسعى بين أيديهم و بايمانهم[١٨٢] والسعی مشی، و ماثم طريق الاالصراط.

هداية كشفية

اعلم ان الصراط المستقيم الذی اذا سلك اوصلك الی الجنة، هو صورة الهدی الذی انشأته لنفسك مادمت عليه فی عالم الطبيعة من الاعمال و الاحوال القلبية، فهو فی هذه الدار كسائر الاحوال الاخروية غائبة عن الحواس، ولا يشاهد له صورة حسية، فاذا انكشف غطاء الطبيعة بالموت يمدلك يوم القيامة جسراً محسوساً علی متن جهنم، اوله فی الموقف واخره علی باب الجنة، يعرف ذلك من يشاهده انه صنعتك و بناؤك، و يعلم انه قد كان فی الدنيا جسراً ممدوداً علی متن جهنم طبيعتك التی قيل لها: هل امتلات؟ و تقول هل من مزيد[١٨٣] ليزيد فی طولك و عرضك و عمقك من ظل ذی ثلاث شعب[١٨٤] و هو ظل حقيقتك كسائر الاجسام الطبيعية التی هی اظلال الحقائق النورية، لكنه غير ظليل ولا يغنی اياها من لهب الطبيعة، بل هو الذی يقودها الی لهب الشهوات، و توقد فيها نارالشهوات، والسعيد من اطفی نارها بماء التوبة و ماء العلم فی الموطن الذی فيه قوة قبول العلم والطاعة قبل قيام نشأة الجزاء و نتيجة الحراثة.

المشهد الثانی عشر

فی الاشارة الی نشر الكتب والصحايف، وكرام الكاتبين، و نزول الملائكة علی الابرار، و دخول الشياطين علی الاشرار

اعلم ان الفعل والقول مادامت حقيقتهما فی اكوان الحركات والاصوات فلاحظ لها من البقاء والثبات، فاذا تكونت بالوجود الكتبی حصل لها مرتبة من البقاء والثبات و كذلك كل من فعل فعلا او تكلم كلاماً

١٨٢- تحريم ٨ ١٨٣- ق ٣٠
١٨٤- مرسلات ٣٠

يحصل منه اثر فی نفسه و حال يبقی زمانا ، و اذا تكررت الافاعيل والاقاويل واستحكمت الآثار فی‌النفس ، فصارت ملكات ما كانت احوالا ، فيصدر بسببها الافعال منها بسهولة من غير رؤية و حاجة الی تجشم اعمال و كسب جديد ، بعد ما لم يكن كذلك ، و من هذا الوجه يحصل تعلم الصنايع والمكاسب العلمية والعملية ، ولو لم يكن هذا التأثر للنفس الادمية والاشتداد فيه يوما فيوما ، لم يكن لاحد تعلم شیء من‌الحرف والصنايع ، ولم ينجع التأديب والتهذيب ، ولم يكن فی تأديب الاطفال و تمرينهم الاعمال فايدة .

فالآثار الحاصلة من الافعال والاقوال فی القلوب بمنزلة النقوش الكتابية فی الالواح والصحائف ، اولئك كتب فی قلوبهم الايمان[185] و تلك الالواح النفسية يقال لها : صحائف‌الاعمال ، و تلك الصور والنقوش الكتابية يحتاج لامحالة الی ناقش و كاتب ، اذ كل معلول يحتاج الی سبب قريب من جنسه ، فالمصورون و الكتاب هم الكرام الكاتبون ، وهم ضرب من‌الملائكة المتعلقة باعمال العباد و اقوالهم ، وهم طائفتان : ملائكة‌اليمين ، وهم يكتبون اعمال اصحاب اليمين و ملائكة الشمال ، وهم يكتبون اعمال اصحاب الشمال، اذ يتلقی المتلقيان عن اليمين وعن‌الشمال قعيد[186] و امثال ذلك مما ورد فی الخبر: ان كل من عمل حسنة كذا يخلق‌الله منها ملكا يستغفر له الی يوم القيامة ، كما قال تعالی : ان الذين قالوا ربنا‌الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لاتخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التی كنتم توعدون ، نحن اولياؤكم فی‌الحيوة الدنيا و فی‌الاخرة[1] و هكذا الحكم فی جانب‌الشر، من ان من اقترف معصية و تكرر منه حصولها ، يخلق الله منها شيطانا قرينه و يتعذب به يوم‌القيامة ، و هذا كما قال تعالی : هل انبئكم علی من تنزل الشياطين، تنزل علی كل افاك اثيم[2] و كذا قوله : و من يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين[3].

و فی كلام فيثاغورس : اعلم انك ستعارض لك فی افعالك و اقوالك و

١ــ فصلت ٣٠ و ٣١

٢ــ شعراء ٢٢١ و ٢٢٢

٣ــ زخرف ٣٦

١٨٥ــ مجادله ٢٢

١٨٦ــ ق ١٧

افكارك ، و سيظهر لك من كل حركة فكرية او قولية او عملية صور روحانية و جسمانية ، فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك فى حيوتك ، و يحجبك عن ملاقاة النور بعد وفاتك و ان كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته فى دنياك ، و تهتدى فى اخراك الى جوار الله وكرامته ، و هذا المعنى هو المسمى فى عرف الحكماء ولسان اهل العلم بالملكة ، و فى لسان اهل النبوة والشهود بالملك والشيطان ، والمال منهما واحد ، و لولم يكن لتلك الملكات من البقاء والثبات ما يبقى به ابدالاباد، ولم يكن لخلود اهل الطاعة فى الثواب و اهل المعصية فى العقاب وجه ، فان منشأ الثواب والعقاب لو كان نفس العمل والقول وهما زائلان ، فكيف يتصور بقاء المعلول والمسبب ، مع زوال العلة والسبب ، والفعل الجسمانى الواقع فى زمان متناه فكيف يكون منشأ للجزاء الواقع فى الزمان الغير المنقطع ، و مثل هذه المجازاة سيما فى جانب العقاب لايليق بالحكيم ، وقد قال : و ما انا بظلام للعبيد[١٨٧] و قال : ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم[١٨٨] ولكن انما يخلد اهل الجنة و اهل النار فى النار بالثبات ، اعنى الملكة الراسخة ، و مع ذلك فكل من فعل مثقال ذرة من الخير او الشر ، يرى اثره و مكتوبه فى صحيفة ذاته او صحيفة ارفع عن ذاته مخلدا ابداً و اذحان وقت ان يقع بصره الى وجه ذاته عند فراغه عن شواغل هذه الحياة الدنيا وما يورده الحواس و يلتفت الى صفحة باطنه و حقيقة قلبه ، وهو المعبر عنه بقوله : و اذا الصحف نشرت[١٨٩] فمن كان فى غفلة عن احوال نفسه و روحه يقول عند حضور ذاته لذاته ومطالعة صفحة وجهه: مالهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها ، و وجدوا ما عملوا حاضراً[١٩٠] يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت من سوء تودلو ان بينها و بينه امداً بعيداً[١٩١] .

وقد ورد فى تجسيم الاخلاق و تكوين النيات فى الاخرة احاديث متكثرة

١٨٧ـ ق ٢٩
١٨٨ـ بقره ٢٢٥
١٨٩ـ تكوير ١٠
١٩٠ـ كهف ٤٩
١٩١ـ آل عمران ٣٠

متظافرة من طريق متخالفة ، وقد روى اصحابنا رضوان‌الله عليهم عن قيس بن عاصم قال: وفدت جماعة من بنى تميم على النبى صلى الله عليه واله، فدخلت عليه و عنده الصلصال الدلهمس ، فقلت : يا نبى‌الله عظنا موعظة ننتفع بها، فانا قوم نعبر فى‌البرية فقال، رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌واله يا قيس: ان مع العز ذلا، و ان مع الحيوة موتا ، و ان مع الدنيا اخرة ، و ان لكل شىء رقيبا، وعلى كل شىء حسيباً، و ان لكل اجل كتاباً، و انه لابدلك من قرين يدفن معك وهو حى ، و تدفن معه و انت ميت ، فان كان كريماً اكرمك، و ان كان لئيما اسلمك ، ثم لايحشر الا معك ، ولاتحشر الا معه ، ولا تسأل الا عنه ، فلا تجعله الا صالحاً ، فانه ان صلح انست به ، و ان فسد لاتستوحش الا منه ، و هو فعلك ، فقلت : يا نبى‌الله : احب ان يكون هذا الكلام فى صورة ابيات من الشعر ، نفخر به على من يلينا من العرب ندخره ، فامر النبى صلى‌الله عليه‌واله : من يأتيه بحسان ؟ فاستبان لى القول قبل مجىء حسان ، فقلت يا رسول‌الله قد حضرنى ابيات احسبها يوافق ما تريد ، فقلت :

تخير خليطاً من فعالك انما
قرين الفتى فى‌القبر ما كان يفعل
ولابد بعد الموت من ان تعده
ليوم ينادى المرء فيه فيقبل
فان تك مشغولا بشىء فلا تكن
بغير الذى يرضى به الله تشغل
فلن يصحب الانسان من بعد موته
و من قبله الا الذى كان يعمل

و فى‌الحديث ايضا : ان‌الجنة قيعان ، و ان غراسها سبحان‌الله ، و كذا ما ورد ان من فعل حسنة كذا وصلى صلوة كذا يخلق‌الله له فى‌الجنة بيتا كذا او الحورالعين كذا او غيرذلك ، و هكذا فى جانب السيئة ، فيخلق‌الله من طاعات المطيعين ما يكون سبب نعيمهم ابدالاباد ، و من سيئات المجرمين ما يكون سبب عذابهم والامهم مخلداً ، كما قال عزوجل فى قصة ابن نوح

عليه‌السلام : انه عمل غيرصالح[١٩٢] و قوله : فاليوم لاتظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون[١٩٣] كالصريح فى هذا المطلب ، و مثله فى القران العزيز كثير، وكذا فى الاحاديث النبوية، و مثل قوله صلى‌الله‌عليه واله الظلم ظلمات يوم القيامة، و فى الخبر ايضاً: خلق الكافر من ذنب المؤمن و نظائر هذه الاخبار والاثار مما لايحصى .

و منشأ ذلك ان مواد الاشخاص الاخروية هى التصورات الباطنة و التأملات القلبية ، لان الدار الاخرة ليست من جنس هذه الدار ، بل هذه دار الشهادة و هى عالم الغيب ، و هاهنا دار موت الارواح و غمورها[١٩٤] والاخرة دار حياتها و ظهورها و بروزها ، ان الدار الاخرة لهى الحيوان لوكانوا يعلمون[١٩٥] والانسان اذا انقطع عن الدنيا و تجرد عن لباس مشاعر هذا الادنى ، و كشف عن بصره الغطاء ، كانت رؤيته الباطنة قوية ، و كذا الغيب بالقياس اليه حينئذ شهادة ، فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[١٩٦] .

وللتنبيه على ان هذه الحيوة الدنيا الفانية مانعة عن الوصول الى تلك الحياة الباقية، و ان الانسان ما لم يمت عن هذه الحياة لم يحيى بحياة الاخرة قال سبحانه: اومن كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها[١٩٧] فعند غلبة سلطان الاخرة على باطن الانسان ينقلب العلم فى حقه عيناً ، والغيب شهادة ، والسر معاينة والخبر علانية ، ويرى الاشياء كما هى، كما وقع فى دعاء رسول الله صلى الله عليه واله: رب ارنا الاشياء كما هى، فكل احد يكون بعد كشف غطائه و رفع حجابه وحدة بصره مبصراً لنتائج اعماله وعلومه، مشاهداً لاثار افعاله، قارياً لصفحة كتابه، مطالعاً لوجه ذاته، مطلعاً على حساب حسناته و سيئاته، كما فى قوله تعالى : و كل انسان الزمناه طائره فى عنقه و نخرج له يوم القيامة كتابا يلقيه منشوراً ، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا[١٩٨].

١٩٢- هود ٤٦
١٩٣- يس ٥٤
١٩٤- غمرة اى الشدة
١٩٥- عنكبوت ٦٤
١٩٦- ق ٢٢
١٩٧- انعام ١٢٢
١٩٨- اسراء ١٣ و ١٤

ثم ان‌الانسان اما ان يكون افكاره الباطنة واعماله القلبية و نياته و تصوراته من باب الامور القدسية والخيرات الكلية والتعقلات الصحيحة بالحقيقة، فيكون من السابقين بالخيرات والمقربين، او بالتمثيل والحكاية مع سلامة القلب عن الاعراض النفسانية، فيكون من اصحاب اليمين و من اهل السلامة، و اما ان يكون افكاره و تخيلاته من باب الأغراض الجزئية والشرور الدنياوية فيكون من اصحاب الشمال، فبحكم المناسبة و الجنسية حسبما ورد: كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون، اوتى كتابه من الجهة التى تناسبه، فمن كان من اصحاب اليمين والابرار فقد اوتى كتابه بيمينه فيقول: هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابية فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية[١٩٩] و من كان من اصحاب الشمال والمنكوسين فقد اوتى كتابه بشماله او من وراء ظهره، و اما من اوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم اوت كتابيه[٢٠٠] واما من اوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً[٢٠١] و يكون كتابهم فى سجين، ان كتاب الفجار لفى سجين[٢٠٢] لانهم من جملة المجرمين المنكوسين، ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عندربهم[٢٠٣].

المشهد الثالث عشر

فى‌الاشارة الى وزن الاعمال والميزان والعرض والحساب والكتاب

قال تعالى: والوزن يومئذ الحق، فمن ثقلت موازينه فاولئك هم‌المفلحون، ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم[٢٠٤].

واعلم ان الميزان ميزانان: ميزان العلوم و سيأتى[٢٠٥] ذكره وذكر اقسامه، و ميزان الاعمال، و هو ان كل اثر او فعل يوجب الاطمينان فى نفس فاعله و يقتضى له الثبات والاستقرار، و يزيل عنه الاضطراب والتزلزل،

١٩٩ـ حاقه ١٩ ـ ٢٢
٢٠٠ـ حاقه ٢٥
٢٠١ـ انشقاق ١٠ ـ ١٢
٢٠٢ـ مطففين ٧
٢٠٣ـ سجده ١٢
٢٠٤ـ اعراف ٨و٩
٢٠٥ـ بل مر ذكره

فنسبته الى الثقل والرجحان اولى ، او لا ترى ان الاثقال والمثقلات تسكن السفائن عن الحركات المختلفة والاضطرابات ؟ وكل اثـر و فعل يقتضى تحير النفس واضطرابها واتباعها الاهواء المختلفة والاعراض المتفرقة ، فنسبته الى الخفة اولى ، فان الخفيف يتغير بادنى باعث و محرك يحدث فى الهواء ، و يكون حركاتها خالية عن النظام ، ثم ان اطمينان القلب يوجب الرضاء ولذا قال تعالى : فاما من ثقلت موازينه فهو فـى عيشة راضية[٢٠٦] و اختلاف حركات النفس بمتابعة الهوى يذهب[٢٠٧] بها الى الهاوية ، فلاجرم: واما خفت موازينه فامه هاوية[٢٠٨] و ايضاً خلق الله الانسان من الطين، وخلق الشيطان من النار، خلقتنى من نار و خلقته من طين[٢٠٩] و مقتضى طباع النار الخفة والحركة ، و مقتضى طباع الارض الاستقرار والسكون .

فالافاعيل الابليسية يوجب الخفة و الاضطراب ، والافاعيل الانسية يقتضى السكون والاطمينان ، قل كل يعمل على شاكلته[٢١٠] .

ثم ان لكل عمل من الاعمال الحسنة كالصلوة والصيام والحج و غيرها مقداراً معينا من التأثير فى تخليص القلب عن اسر الـدنيا وقيد الشهوات و تنويرها لايعلمه الاالله ، وكذلك لكل من الاعمال السيئة قدراً معيناً عندالله فى تبعيد النفس عن عالم الرحمة واظلام جوهرها ، وكل ذلك انما ينكشف للخلائق فى الاخرة لاجل رفع الحجاب و كشف الغطاء ، وكل احد يرى مثاقيل اعماله و افعاله فى الخير والشر، و هى مختلفة بحسب الاحـوال و الاوقات والقوابل والنيات والاعتقادات ، فرب عمل قليل يكون اجره من عندالله كثيراً، و رب نافلة خفيفة يكون ثوابه اكثر من صلوات مفروضة لايحصى كثرة ، و قد ورد عنه صلى الله عليه واله : تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة .

واعلم ان كفة ميزان كل احد بقدر عمله* من غير زيادة ولانقصان، و كل ذكر و عمل يدخل فى الميزان الا لااله الاالله، و سبب ذلك: ان كل عمل

٢٠٦ـ قارعه ٦
٢٠٧ـ مذهب (ن ل)
٢٠٨ـ قارعه ٧
٢٠٩ـ اعراف ١٢
٢١٠ـ اسراء ٨٤
* ـ علمه (المطبوعه)

خيرله مقابل من ضده ، فيجعل هذا الخير فى موازنته ، ولا يقابل التوحيد الا الشرك ، فلا يجتمع توحيد و شرك فى ميزان واحد ، كما لايجامع الوجود والعدم لذات واحدة فى ذاته ، فمن قال : لا اله الاالله معتقدا فما اشرك ، فلما لم يصح الجميع بينهما، لم يكن للكلمة ما يعادلها فى الكفة الاخرى، ولا يرجحها شىء،فلهذا لاتدخل الميزان .

واما المشركون فلا نقيم لهم يوم‌القيامة وزنا[٢١١] اى لاقدر لهم‌من الوجود ، و لا يوزن لهم عمل ، و كذا من كان من امثالهم ممن يكذب بلقاءالله و يكفر بايات الله ، فافهم فانه ينفعك كثيرا .

و يؤيده خبر صاحب السجلات الوارد فى حديث الاخرة، و هو شخص لم‌يعمل خيراً قط‌الاانه تلفظ يوماً بكلمة لااله‌الاالله مخلصاً، فتوضع له‌فى‌مقابلة التسعة و التسعين سجلا من اعمال الشر ، كل سجل منها كما بين المشرق و المغرب ، و ذلك لانه ماله عمل غيرها ، فترجح كفتها على الجميع و تطيش السجلات كلها ، فيتعجب من ذلك .

و اعلم انه لايدخل الموازين بالحقيقة الا اعمال الجوارح خيرها و شرها ، كاعمال السمع و البصر و اللسان واليد والرجل والبطن والفرج ، و اما الاعمال الباطنة فلا يدخل الميزان المحسوس ، لكن يقام فيها العدل و هوالميزان العقلى الحكمى ، فالمحسوس بالمحسوس يوزن ، و المعنى بالمعنى يقاس ، فيقابل و يعادل كل شىء بمثله ، فلهذا يوزن الاعمال من حيث ماهى مكتوبة .

فصل

فى الحساب

الحساب عبارة عن جميع تفاريق المقادير والاعداد و تعريف مبلغها، فاذا جمع متفرقات حسنات الانسان و متفرقات سيئاته ، فان كان الرجحان فى جانب الحسنات كان من اهل السعادة والجنة ، و ان كان بخلافه كان من اهل الشقاوة و النار ، فكل مكلف يرى يوم‌الاخرة حاصل متفرقات حسناته

٢١١ــ كهف ١٠٥

اوسيئاته، و يصادف جامع كل دقيق و جليل من افعاله فى كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها، و وجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك احدا[٢١٢] وما من انسان الا وله أعمال متفرقة نافعة او ضارة، مقربة او مبعدة، لا يعرف فذلكتها و لايجمع احادها و حصر متفرقاتها، فاذا احضرت متفرقاتها وجمع مبلغها كان حسابا، ففى قدرة الله تعالى ان يكشف فى لحظة واحدة للخلائق حاصل حسناتهم و سيئاتهم، و هو اسرع الحاسبين[٢١٣].

فصل

اعلم انه ورد فى الخبران رسول الله صلى الله عليه واله سأل عن معنى قوله تعالى: فسوف يحاسب حساباً يسيرا[٢١٤] فقال: ذلك العرض، من نوقش فى الحساب عذب، قيل: و هو مثل عرض الجيش، اعنى عرض الأعمال، لانها زى اهل الموقف، والله الملك، فيعرف المجرمون بسيماهم كما يعرف الاجناد هنا بزيهم.

فصل

فى اقسام الكتب

قال تعالى: اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً[٢١٥]

فصل

فى الاشارة الى طوايف اهل الحساب

الناس يوم الحساب صنفان: احدهما ما يرزقون فيها بغير حساب[٢١٦] و هم على ثلاثة اقوام.

منهم المقربون الكاملون فى المعرفة والتجرد، فهم لتنزهم عن الحساب والشواغل يدخلون الجنة بغير حساب، كما ورد فى الكتاب فى باب حساب

٢١٢– كهف ٤٩
٢١٣– انعام ٦٢
٢١٤– انشقاق ٨
٢١٥– اسراء ١٤
٢١٦– غافر ٤٠

الفقراء: ما عليك من حسابهم من شیء[٢١٧].

و منهم جماعة من اصحاب اليمين، هم اهل التقوى، لم يقدموا فى الدنيا على معصية ولم يقترفوا سيئة ولا فساداً، لصفاء قلوبهم و اقتدار نفوسهم بحسب القوة العملية على فعل الطاعات والاجتناب عن السيئات، فهؤلاء ايضاً يدخلون الجنة بغير حساب، تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولافساداً و العاقبة للمتقين[٢١٨].

و منهم جماعة يكون صحائف اعمالهم خالية عن الاعمال، و نفوسهم ساذجة عن النقوش الحاصلة من الحسنات و السيئات، فينالهم رحمة من الله، لان جانب الرحمة ارجح من الغضب بعد ثبوت الامكان والقابلية و عدم المنافى.

و اما الصنف الثانى وهم اهل الحساب فهؤلاء ايضاً على ثلاثة اقسام، قسم منهم من يكون صحيفة اعمالهم خالية عن الحسنات، و قسم منهم من وقع فيهم وحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون[٢١٩] و قدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا[٢٢٠] و قسم منهم وهم المحاسبون فى الحقيقة، حيث خلطوا عملا صالحا و اخر سيئاً[٢٢١] وهم على قسمين:

احدهما من يحاسب نفسه فى الدنيا لامتثاله امره صلى الله عليه واله: حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، فعمل بمقتضاه، و هو من الذين علموا ان لكل فعل حسن اوقبيح خاصية فى تنوير القلب واظلامه، يرى اثره فى العاقبة، فيخافون سوء الحساب يوم القيامة، اذا اقترفوا فعل معصية، على سبيل السهو او عجز القوة عن مقاومة الدواعى الشيطانية، فهؤلاء لايعذبون كثيرا بالمناقشة معهم فى الحساب.

والقسم الثانى ما يقابلهم ممن نوقش معهم فى الحساب.

٢١٧ـ انعام ٥٢ | ٢١٨ـ قصص ٨٣
٢١٩ـ هود ١٦ | ٢٢٠ـ فرقان ٢٣
٢٢١ـ توبه ١٠٢

المشهد الرابع عشر
فی الاشارة الی احوال القیامة منطی السموات وغیرها

اعلم ان عالم الامر بمنزلة کلام الحق و عالم الخلق کتابه، و فرق مابین کلام الله و کتابه، فالکلام بسیط و الکتاب مرکب من حامل و محمول، والکلام امری بل امر، والکتاب خلقی، انما قولنا لشیء اذا اردناه ان نقول له کن فیکون[۲۲۲] واهل عالم الامروالتصویر، ذواتهم علوم عقلیة، کالواح فیها نقوش، او کصدور فیها علوم، بخلاف اهل عالم الخلق و التقدیر، فان علومها و معانیها زایدة علی محال مدارکها و قوابل مشاعرها، فالاول کلام الحق والثانی کتابه، و عالم الامر خال عن التضاد، بل مقدس عن التغیر والتکثر، و ما امرنا الاواحدة[۲۲۳].

و اما عالم الخلق فهو مشتمل علی التضاد والتفاسد، ولا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین[۲۲۴] و کتابه قابل للنسخ والتغییر، ما ننسخ من ایة او ننسهانأت بخیر منها او مثلها[۲۲۵] و کذلك للزوال والتبدیل، یوم تبدل الارض غیر الارض[۲۲۶] و للمحو و الاثبات، بخلاف کلام الله و هو ام الکتاب، اعنی عالم القضاء الالهی، یمحوالله ما یشاء و یثبت و عنده ام الکتاب[۲۲۷] و کما ان الکتاب یشتمل علی الایات، تلك ایات الکتاب المبین[۲۲۸] فکذا الکلام مع بساطته یشتمل علیها، تلك ایات الله نتلوها علیك بالحق[۲۲۹] اذ کل ما یوجد فی عالم الخلق فهو موجود فی عالم الامر علی وجه اعلی و اشرف، والکلام اذا تشخص صار کتاباً کما ان الامر اذا نزل صار فعلا، انما امره اذا اراد شیئا ان یقول له کن فیکون[۲۳۰].

فقد علمت ان صحیفة وجود عالم الخلق هی کتاب الله عزوجل، وایاتها اعیان الموجودات، ان فی اختلاف اللیل والنهار و ما خلق الله فی السموات

۲۲۲ــ نحل ۴۰
۲۲۳ــ قمر ۵۰
۲۲۴ــ انعام ۵۹
۲۲۵ــ بقره ۱۰۶
۲۲۶ــ ابراهیم ۴۸
۲۲۷ــ رعد ۳۹
۲۲۸ــ یوسف ۱
۲۲۹ــ بقره ۲۵۲
۲۳۰ــ یس ۸۲

والارض لايات لقوم يتقون[٢٣١] و هذه الايات انما تصورت و تحققت في مواد عالم الخلق ، لان بصير لاصحاب الافكار و اولى الابصار بسبب مطالعة هذا الايات الفعلية[٢٣٢] المنبثة فى الافاق، استيهال استماع الايات القولية المنبثة[٢٣٣] فى العقول والانفس، ليحصل لهم بالتفكر الانتقال من محسوسها الى معقولها، والارتحال من جزئياتها الى كلياتها ، المسافرة من الشهادة الى الغيب ، و المهاجرة من الدنيا الى الاخرة ، ليستعدوا لقاء الله والفوز بالنعيم الدائم، كما قال الله تعالى : سنريهم اياتنا فى الافاق و فى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد[٢٣٤] .

تنبيه

اعلم ان الانسان مادام كونه فى مضيق عالم الشهادة و فى سجن عالم الزمان و المكان، و انحصاره فى الظلمات وتقيده بالحواس، لايمكنه مشاهدة الايات الافاقية والانفسية ، و تلاوتها الا واحدة بعد واحدة و يوما بعد يوم، فيتلوا منها اية و يغيب عن نظره اخرى، فيتوارد عليه الاوضاع ويتعاقب عليه الانات والاوقات ، اللهم الا بحسب الذكر دون المشاهدة ، فذكرهم بايام الله، ان فى ذلك لايات[٢٣٥] و هو على مثال من يقرأ طوماراً و ينظر الى سطر منه بعد سطر ، و يطلع على حرف منه بعد حرف ، و هذا لقصور دركه عن مشاهدة الجميع دفعة واحدة ، فاذا قويت بصيرته و تكحلت عين قلبه بنور الهداية والتوفيق كما هى عند القيامة، فيتجاوز نظره عن مضيق عالم الخلق والظلمات الى سعة عالم الامر والنور، الذى ينشأ منه اسباب الكون و مبادى الوجود فيطلع على جميع ما فى هذا الكتاب الجامع للاكوان الخلقية دفعة واحدة، كمن يطوى عند نظره السجل الجامع للسطور والحروف ، يوم نطوى السماء كطى السجل لكتب[٢٣٦] والسموات مطويات بيمينه[٢٣٧] و لم يقل بشماله ،

٢٣١ـ يونس ٦
٢٣٢ـ العقلية (ن م ل)
٢٣٣ـ المثبتة (ن م ل)
٢٣٤ـ فصلت ٥٣
٢٣٥ـ ابراهيم ٥
٢٣٦ـ انبياء ١٠٤
٢٣٧ـ زمر ٦٧

لان اهل الشمال و سكان دار البوار ليس لهم نصيب من طى السموات بالقياس اليهم ، و كذلك كل من كان من اهل الحجب والجهات لا اقتدار لهم على مطالعة حقائق ايات الله، ومن لا اقتدار له على مطالعة ايات الله فهو لامحالة يعرض عنها كأن لم يسمعها ، فيكون حاله ما اشير اليه بقوله : يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها[٢٣٨] كأن فى اذنيه و قراً فبشره بعذاب اليم[٢٣٩] .

و اعلم ان فى السمع والبصر والكلام والكتاب اسرار عظيمة لا يحتمل المقام ذكرها ، ولا يمكن لهذه الاسماع الدنياوية ان تعيها .

المشهد الخامس عشر

فى معنى النفخ

قال تعالى : و نفخ فى الصور[٢٤٠] و لما سئل النبى صلى الله عليه و اله عن الصور ما هو ؟ فقال : قرن من نور ، التقمه[٢٤١] اسرافيل، فوصف بالسعة والضيق، واختلف فى ان أعلاه ضيق واسفله واسع او بالعكس منه ، و لكل وجه ، و الصور بسكون الوأ ، و وقرء بانفتاحها جمع الصورة .

قال الشيخ الكبير محى الدين العربى قدس سره[٢٤٢] بعد ذكر الناقور والصور : فلتعلم بعد ما قررناه ان الله اذا قبض الارواح من هذه الاجسام[٢٤٣] الطبيعية والعنصرية ، اودعها صوراً اخذه[٢٤٤] فى مجموع هذا القران النورى، فجميع ما يدركه الانسان بعد الموت فى البرزخ من الامور انما يدركه بعين الصورة التى هو بها[٢٤٥] فى القرن ، والنفخة نفختان : نفخة تطفىء النار و نفخة تشعلها .

قال تعالى : و نفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض

٢٣٨- جاثية ٨

٢٣٩- لقمان ٧

٢٤٠- يس ٥١

٢٤١- القمه (فتوحات)

٢٤٢- فى كتابه المروف بالفتوحات المكية

٢٤٣- الاجساد (فتوحات)

٢٤٤- صوراً جسدية (فتوحات)

٢٤٥- فيها (فتوحات)

الا من شاءالله ، ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون[٢٤٦] بل كل موت طبيعى او ارادى‌يلزمه حيوةاخرى تناسبه،فاذا تهيأت هذه الصور التى كانت‌فتيلة استعدادها كالفحم المحمر، وهو الاستعداد لقبول الارواح، كاستعداد الفحم بالنار التى كمنت فيه لقبول الاشتعال، والصور البرزخية كالسرج مشتعلة بالارواح الكامنة فيها ، فنفخ اسرافيل ، و هو المنشىء للارواح نفخة واحدة، فتمر على تلك الصور فتطفيها ، و تمر النفخة التى تليها و هى الاخرى على الصور المستعدة، اى القابلة للاشتعال بالفعل، وهى النشأة الاخرى، فتشتعل بارواحها ، فاذاهم قيام ينظرون[٢٤٧] فتقوم تلك الصور احياء ناطقة بما ينطقهم[٢٤٨] الله ، فمن ناطق : بالحمد لله ، و من ناطق : بمن بعثنا من مرقدنا هذا[٢٤٩] و من ناطق: بالحمدلله الذى احيانا بعد ما اماتنا و اليه النشور، و كل ينطق بحسب علمه ، و ما كان عليه ، و ينسى حاله فى البرزخ و يتخيل ان ذلك[٢٥٠] منام ، كما يتخيله المستيقظ ، و قدكان عند موته و انتقاله[٢٥١] الى البرزخ كالمستيقظ هناك ، و ان الحياة الدنيا كانت له كالمنام ، و فى الاخرة يعتقد فى امر الدنيا والبرزخ انه منام فى منام .

تنبيه اخر

نفخة الصور نفختان ، الاولى لاماتة الاحياء لمن يزعم ان له حيوة ، سواء كان من اهل السماء او الارض من اصحاب ظواهر التنزيل او بواطن التأويل، فصعق من فى‌السموات...[٢٥٢] الاية وهذا الصعق و الامانة فى‌حقهم يكشف عقائدهم و فسخ[٢٥٣] مقالاتهم و كسر ارائهم و اديانهم ، ليروا بالمعاينة حال عدميتهم الاصلية الذاتية ، مع اعتقادهم بوجودهم و حال نقص معرفتهم و عمق بصيرتهم ، لينكشف عليهم انهم فى جهنم الجهل والحرمان معذبون، انكم و ما تعبدون من دون‌الله حصب جهنم ، انتم لها واردون[٢٥٤] و يتحقق

٢٤٦ــ زمر ٦٨
٢٤٧ــ زمر ٦٨
٢٤٨ــ ينطقها الله به (فتوحات)
٢٤٩ــ يس ٥٢
٢٥٠ــ الذى كان فيه (فتوحات)
٢٥١ــ حين مات و انتقل (فتوحات)
٢٥٢ــ زمر ٦٨
٢٥٣ــ فسخ (ن م)
٢٥٤ــ انبياء ٩٨

لهم تأويل قوله تعالى : و اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم، ان الناس كانوا باياتنا لايوقنون[٢٥٥].

النفخة الثانية لاجل الاحياء لهم بعد الاماتة ، و قيامهم من نوم الجهالة، ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون[٢٥٦] وهذا القيام انما يتحقق عندالقيامة، وفى القيامة يتحقق البعث، ثم انكم يوم القيامة تبعثون[٢٥٧] و عند البعث يتحقق الثواب و العقاب على الاعمال.

و من الناس من يحضر عنده شهودالاخرة ، فلا فرق فى شهوده بين الدنيا والاخرة ، لوكشف الغطاء ما ازددت يقينا ، فلا يحتاج مثله فى الوصول الى عالم اليقين الى البعث ، فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[٢٥٨] فعمل هؤلاء و ثوابهم واحد ، ما عبدت الله لرهبة اورغبة ، بل وجدته اهلا للعبادة فعبدته[٢٥٩] فهم لا ينتظرون القيامة والبعث والثواب ، و اما غير هؤلاء فينكشف لهم يوم القيامة ان وجودهم عدم ، و عدمهم وجود ، و ذواتهم لاذات ، و صفاتهم لاصفات لهم، وافعالهم لا افعال لهم، و انما الوجود والذات والصفة والفعل لمن سواهم ، فيرون عند ذلك ان الاشياء ليست ظواهرها هذه الظواهر ، و لابواطنها هذه البواطن ، وسيظهرلهم عند ارتفاع الحجب و كشف الاغطية ، ما حقيقة كل شىء و ذاته و ظاهره و باطنه ، يوم تبدل الارض غيرالارض والسموات ، و برزوا لله الواحد القهار[٢٦٠]

المشهد السادس عشر
فى الاشارة الى حالات تحدث يوم القيامة
على طريق العرفان والكشف

اعلم ان الله سبحانه اذا نفخ فى الصور و بعثر ما فى القبور ، حشر الناس

٢٥٥ـ نمل ٨٢ ٢٥٦ـ زمر ٦٨

٢٥٧ـ مؤمنون ١٦ ٢٥٨ـ ق ٢٢

٢٥٩ـ هذا الكلام و ما يقرب من هذامروى عن على عليه السلام .

٢٦٠ـ ابراهيم ٤٨

و الوحوش ، و اخرجت الارض[٢٦١] اثقالها اخراجاً على الصورة التى شاء الحق ان يخرجها من الارض ، لا نباتاً معهودا على التدريج الزمانى ، و هذا هو الفرق بين النشأة الاخرة ، ولو كان هذا الاخراج نباتاً ، لم يكن مثل هذا النبات الذى فى الدنيا ، بل نباتاً على غير مثال مادة تقدمت و صورة تكونت على التدريج ، كما يوهمه بعض الروايات ، حيث زعم بعض من لاقدم له فى فقه الاخرة : ان افراد الناس اذا حان وقت البعث يتولدون من التراب و يحصل لهم النشو والنمو على التدريج ، لكن فى زمان قليل ، و لم يعلموا ان القدرة واسعة ، و نشو الاخرة ليس باستحالة و حركة و قوة و تدرج كنشأة الدنيا ، بل نشأة الأخرة مما يظهره الله على غير مثال صورة تقدمت و مادة استعدت .

فصل

اعلم ان اخلاف وقع بين المؤمنين القائلين بالحس والمحسوس فى كيفية الاعادة ، فمنهم من ذهب الى ان الاعادة تكون فى الناس مثل مابدأ بنكاح و تناسل و ابتداء خلق من طين و نفخ، كماجرى من خلق ادم‌وحواء و سائر الاولاد من نكاح و اجتماع ، الى اخر مولود فى الخلقة البشريـة الانسانية ، و كل ذلك فى زمان صغير و مدة قصيرة على حسب ما يقدره الحق تعالى ، هكذا زعم صاحب كتاب خلع النعلين ، و هو ابوالقاسم بن قسى ، و استدل فى ذلك بقوله تعالى : كما بدأكم تعودون[٢٦٢]

وزعم الشيخ ابوحامد الغزالى ان كلما يحصل بالتوالد والنكاح يجوز ان يحصل بالتولد[٢٦٣] وقوله: انا خلقنا الانسان من نطفة[٢٦٤] انما عنى به‌الانسان التوالدى ، و قوله تعالى : انا خلقناكم من تراب[٢٦٥] عنى به الانسان التولدى، والحيوانات التوليدية كثيرة ، مثل العقارب من الساروج ، والحيات من العسل ، والبق من الخل ، و الخنافس من البعرة ، و الفارة من الطين و غير

٢٦١- زلزال ٢

٢٦٢- اعراف ٢٩

٢٦٣- كل ما يتوالد فلا يستحيل ان يتولد اصلا، وما يتولد اصلا لايستحيل ان يتوالد لقوله: انا (المضنون) .

٢٦٤- انسان ٢ ٢٦٥- حج ٥

ذلك ، ثم يتوالد هذا المتولد و يبقى نوعه بالتوالد ، قال : و انطباق دائرة معدل النهار على فلك البروج مما يدل على خراب العالم السفلى و فناء الفصول[٢٦٦] فلا يبقى فى الارض دار[٢٦٧] كما قال تعالى : كل من عليها فان و يبقى وجه ربك ذوالجلال والاكرام[٢٦٨] يعنى على الارض.

فخلق الله ادم من تراب ثم حصل منه التوالد ، و نظير ذلك مشاهد، و كذلك الصنايع والحرف تحصل اولا من طريق الالهام ، ثم تستفاد و تتعلم ، والنار تحصل من المقدحة والزناد[٢٦٩] ثم تقتبس بعد حصولها ، ذلك بتقدير العزيز العليم الذى خلق عند انفراج الدائرتين[٢٧٠] فيتولد من الميل الذى بينهما ، ادم من تراب ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سويه و نفخ فيه من روحه[٢٧١] فمن شك فى كيفية بدأ الخلق و اعادته ، فلينظر الى المحسوسات الذى ذكرناها ، هذا خلاصة كلامه فى رسالته المضنون بها .

و منهم من قال بظاهر الخبر المروى : ان السماء تمطر مطراً شبه المنى تمخض به ارض، فتنشأ منها النشأة الاخرة، و هذه الاقوال كلها كلام المحجوبين عن النشأة الاخرة ، و ليس من الايمان بالقيامة والنشأة الثانية من شىء[٢٧٢] .

٢٦٦ــ و تغييره للفصول (المضنون) ٢٦٧ــ فلايبقى الحرث والنسل (المضنون)

٢٦٨ــ رحمن ٢٧ ٢٦٩ــ والزند (المضنون)

٢٧٠ــ الدائرتين معدل النهار وفلك البروج و ليس الذى يتزايد الميل (المضنون) .

٢٧١ــ سجده ٨و٩

٢٧٢ــ و من هذا البيان العرشى قد بطل قول من قال : ان البدن اوالتراب الذى صارالبدن اليه فهو ايضاً متحرك الى غايته الاعلى منه التى لا اقرب اليه منها ان يتصل بها، فيصير اخرة بعدكونها دنيا، و حياً بعدكونها ميتا، لانه تمسك بهذا الخبر الواحد الذى روى عن الصادق عليه السلام، و نقل ايضاً مؤلف الكبير انه عليه‌السلام قال : ان الروح مقيمة فى مكانها . . . الى ان قال عليه‌السلام: فاذاكان حين البعث مطر الارض مطر النشور، فتربو الارض، ثم تمخض مخض السقاء، فيصير تراب البشركمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء والزبد من اللبن اذامخض، وكأنه قدس سره علم بعلمه الباطنى ان يأتى رجل او افراد يتفوهون بهذا القول، ولهذا قددفع دخل المقدرو قال: يوهمه بعض الروايات، و زعم بعض من لاقدم له فى فته الاخرة . . . الخ. ولاستاذنا المرحوم المبرور حكيم عصره و وحيد دهره الحاج ميرزا ابوالحسن القزوينى قدس سره حواش على هذه العويصة، و تصدى لدفع توهمات بعض الناس، فمن شاء فليراجع الى كتاب شرح زاد المسافر لاستاذنا الاشتيانى حفظه الله تعالى .

و اما قوله تعالى : كما بدأ كم تعودون[٢٧٣] و قوله : و لقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون[٢٧٤] و قوله : كما بدأنا اول خلق نعيده[٢٧٥] فليس معناه ما فهموه، بل الحق بالتصديق هو ان : خلق العالم بدأ من‌الله او لاعلى سبيل الابداع من الالطف فالالطف والاقرب فالاقرب ، حتى انتهى الى اكثف الاشياء واكدرها وابعدها عن الحق ، و هو مثل التراب والهيولى ، ثم حصلت سلسلة‌اخرى رجوعية مترقية‌بالتمحيص والتجريدمن‌الاكثف‌فالاكثف الى‌الالطف‌فالالطف، حتى حصلت‌الارواح‌والنفوس البشرية السعيدة‌والشقية، المطيعة والعاصية ، و هى قابلة للحشر والنشر مع تبعاتها ولواحقها و اثارها المترتبة عليها ، من الروح والراحة ، والحور والجنة ، والقصور والغرف والانهار ، والمحنة والبلاء والنار والحميم والزقوم و غيرها ، فكما ان فى الابتداء كان الترتيب بين الاشياء ترتيباً ذاتياً بين السبب والمسبب والملزوم واللازم ، ففى الاعادة يجب ان يكون ترتيب الوجود بين الامور مثل ذلك الترتيب الذى كان اولا ، حتى يصدق قوله : كما بدأكم تعودون ، فان[٢٧٦] مفهوم الاعادة دال على ما ذكرناه .

و اما خلق الانسان من التراب او النفس من البدن او تكوين الاولاد من النطف ، فهذا على خلاف نشأة الابتداء و عكسه ، ففى نشأة البداية خلقت الابدان من الارواح ، والاجساد من النفوس ، فهكذا الابدان الاخروية و اجرامها كلها من‌توابع الارواح واظلالها، كماقدنبهنا عليه كثيراً، و كيف لو لم يحمل معانى الايات على ما ذكرناه و حملت على ما تصوروه ، لكانت نشأة الاخرة مثل نشأة الدنيا بلا فرق ، والاتفاق حاصل بان الدنيا والاخرة متضادان فى نشأة الوجود، و هما ضرتان، متى ارضيت احداهما اسخطت الاخرى ، و كما ان نشأة الابتداء اوجدها على غير مثال سبق بخلاف الاكوان الدنيوية ، فهكذا النشأة الاخرة يوجدها الله على غير مثال سبق ، مع كونها محسوسة عندنا بلاشك، و قد ذكر رسول‌الله‌صلى‌الله‌عليه‌واله صفة نشأة اهل الجنة والنار ما يخالف هذه النشأة الدنيا ، فعلمنا ان ذلك راجع الى عدم

٢٧٣ـ اعراف ٢٩ ٢٧٤ـ واقعه ٦٢
٢٧٥ـ انبياء ١٠٤ ٢٧٦ـ اعراف ٢٩

مثال سابق، فافهم ان شاء الله.

فصل

ومما قال بعض العرفاء[٢٧٧]: فاذا اخرجت الارض اثقالها حتى ما بقى فيها شيء اختزنته، جيء بمن فيها[٢٧٨] الى الظلمة التى دون الحشر[٢٧٩] فالقوا فيها حتى لايرى بعضهم بعضاً، ولا يبصرون كيفية التبديل فى السماء والارض حتى تقع، فتمد الارض مدالاديم و تنبسط، فلايرى فيها عوجاً ولا امتا، و هى الساهرة فلانوم فيها، اذلانوم لاحد بعد الدنيا، و يرجع ما تحت مقعر فلك الكواكب جهنم، ولهذا سميت بهذا الاسم لبعد قعرها، و يوضع الصراط من الارض علواً على استقامة الى سطح الفلك المكوكب، و هو فرش الكرسى من حيث باطنه، فان جل امور الاخرة بل كلها فى باطن حجب امور الدنيا، ولذلك قيل: ارض الجنة الكرسى وسقفها عرش الرحمن، لكن السقفية والفرشية بمعنى اخر، كماان العرش غيرالفلك الاعظم، والكرسى غيرالفلك الكواكب دنيا واخرة.

و قال: و يوضع الموازين فى ارض الحشر، لكل مكلف ميزان يخصه، وضرب بسور يسمى الاعراف بين الجنة و النار، و جعل مكانا لمن اعتدلت كفتا ميزانه، و وقعت[٢٨٠] الحفظة بايديهم الكتب التى كتبوها فى الدنيا من اعمال المكلفين و اقوالهم، ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم الا ما شهدوا به على انفسهم بما تلفظوا به من ذلك، فعلقوها فى اعناقهم بايديهم، فمنهم من اخذ كتابه بيمينه، و منهم من اخذ بشماله، و منهم من اخذ وراء ظهره، وهم الذين نبذوا الكتاب فى الدنيا وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا[٢٨١] و ليس اولئك الا ائمة الضلال المضلون.

و قال: و يؤتى بمنابر من نور، فتنصب فى الارض فيقعدون عليها، قدغشيتهم الانوار لايعرفهم احد، و عليهم من الخلع الالهية ما تقربه اعينهم،

٢٧٧ــ وهوشيخ الاكبر محى الدين الاعرابى قدس سره، فى كتابه المسمى بالفتوحات المكية.

٢٧٨ــ بالعالم (فتوحات) ٢٧٩ــ الجسر (فتوحات)

٢٨٠ــ ووقفت (فتوحات) ٢٨١ــ آل عمران ١٨٧

و يأتـي كـل انسان قـرينه مـن الشياطين والـمـلائكة ، و تنشر الالوية فـي ذلـك اليـوم للسعـداء والاشقيـاء بـايـدى ائمتـهـم الـذيـن كانـوا يـدعونهـم الـى مـا كانـوا يدعونهـم اليه مـن‌حق و باطل، ويجتمع كل امة الى رسولها من امن منهم به و من كفر، و تحشر الافراد ، والانبياء بمعزل من‌الناس بخلاف الرسل ، فانهم اصحاب العساكر، فلهم مقام يخصهم .

قال : وقد عين‌الله فى هذه الارض بين يدى عرش الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من‌الوسيلة التى فى الجنة ، يسمى ذلك المقام المحمود، وهو لمحمد صلى‌الله عليه واله خاصة ، و تأتى ملائكة السموات ، ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها ، فيكونون سبعة صفوف ، والروح قـائم مقدم[٢٨٢] الجماعة ، و هو الملك الذى نزل بالشرائع على الرسل ، ثم يجاء بالكتب المنزلة والصحف ، وكل طائفة ممن نزلت من اجلها[٢٨٣] فيمتازون عن اصحاب الفترات و عمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من اجله ، و انما دخل فيه و ترك ناموسه لكونه من عندالله ، فلكان ناموسه عـن نظر عقلى مـن عاقل مهدى .

قال : ثم ياتى‌الله عزوجل على عرشه ، والملائكة يحمل ذلك العرش ، فيضعونه فى تلك الارض ، والجنة عن يمين العرش ، والناس من‌الجانب الاخر، وقد غلبت الهيبة الالهية على قلوب اهل الموقف من انسان و ملك و جان ، فلايتكلمون الا همساً ، و ترفع الحجب بين‌الله وبين عباده وهو كشف الساق، و يأمرهم داعى الحق عن امرالله بالسجودلله، فلا يبقى احد سجدلله خالصاً على اى دين كان ، الا سجدالسجود المعهود ، و من سجد اتقاء و رياء خرعلى قفاه ، و بهذه السجدة يرجح ميزان اصحاب الاعراف ، لانها سجدة تكليف ، فيسعدون و يدخلون الجنة ، و يشرع الحق فى‌الفصل والقضاء و الحكم بين عباده فيما كان بينهم ، و اما ما كان بينهم و بين‌الله فان الكرم الالهى يسقطه ، فلايؤاخذ الله احداً من عباده فيما لم يتعلق به حق للغيـر وقد ورد من اخبار الانبياء عليهم‌السلام فى ذلك اليوم ما قد ورد على السنة

٢٨٢ـ يقدم (فتوحات) ٢٨٣ـ من اجلها خلقها (فتوحات)

الرسل ، و دون الناس فيه ما دونوا .

فصل

اذا ظهر نور الانوار وانكشف نور الوجود الحقيقى ، و غلب سلطان الاحدية الالهية ، و اشتدت جهات الفاعلية والتأثير والتنوير ، و برزت الحقايق من مكامن غيبها و حجب نقابها والبسة موادها و امكاناتها ، وانخرط كل ذى مبدأ فى مبدئه ، رجع كل شىء الى اصله ، وعاد كل ذى غاية الى غايته ، الا الى الله تصير الامور[٢٨٤] و اتصل كل فصل الى وصله ، و بلغ كل كتاب اجله ، و جمع كل مستفيض بمفيضه ، لم يبق لانوار الكواكب عنده ظهور ، و اذا النجوم انكدرت[٢٨٥] ولا لاجرامها وضع و قدر ، و اذا الكواكب انتثرت[٢٨٦] و محى نور القمر وخسف القمر[٢٨٧] ولم يبق بين المنير والمستنير مسافة بعد ، و جمع الشمس والقمر[٢٨٨] و اذا اتحد ذوالنور مع نوره ، لم يبق للافاضة والاستفاضة اثر ، اذا الشمس كورت[٢٨٩] و رجعت السموات والارض على ما كانتا عليه قبل انفتاقهما من الرتق الذى كانتا رتقا قبل الفتق ، فعادتا كما كانتا عليه رتقا بعد الفتق .

و كذا العناصر الاربعة يصير كلها عنصراً واحداً لايرون فيها شمساً ولا زمهريرا[٢٩٠] وللجبال لكونها متكونة من الرمال المفتتة والمتشتتة ، فعادت كما كانت عليه ، و يسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا امتا[٢٩١] و ينقلب كل العناصر نارا غير هذه النار ، و يحترق الارض و ما فيها و عليها بحراً مسجورا ، و اذا البحار سجرت[٢٩٢] .

و بالجملة يتصل البر بالبحر و يتحد الفوق و التحت والسماء والارض ، و يحضر الخلائق كلهم فى عرصة القيامة ، و ينكشف الاغطية و ترق الحجب لاهل البرازخ ، و يرتفع الحواجز ، واذا القبور بعثرت[٢٩٣] و يقام الخلائق

٢٨٤ــ شورى ٥٣
٢٨٥ــ تكوير ٢
٢٨٦ــ انفطار ٢
٢٨٧ــ قيامه ٨
٢٨٨ــ قيامه ٩
٢٨٩ــ تكوير ١
٢٩٠ــ انسان ١٣
٢٩١ــ طه ١٠٦ و ١٠٧
٢٩٢ــ تكوير ٦
٢٩٣ــ انفطار ٤

عن مواقف الحجب الى مقام کشف الاسرار ، وقفوهم انهم مسئولون مالکم لاتناصرون[٢٩٤] فالمتخلصون عند ذلك من محابس البرازخ الى الحضرة الالهية، فاذاهم من‌الاجداث الی‌ربهم ینسلون[٢٩٥] والموت کما ورد فی‌الحدیث عن‌النبی صلی‌الله علیه واله یجاء به علی صورة کبش املح ، لکونه سبب هلاك الخلق بکلاطرفی التضاد، لهذایقام بین‌الجنةوالناریرنظر الیه‌اهل‌الجنة واهل النار، فیقال لهم : اتعرفون هذا؟فیقولون : نعم‌هذا الموت، فیضجعه الروح الامین و یأتی یحیی علیه‌السلام و بیده الشفرة فیذبحه ، و یقول[٢٩٦] لساکنی الجنة والنار : خلود فلا موت ، و یقع الیأس لاهل النار من الخروج منها ، و یرتفع الامکان فی قلوب اهل الجنة من وقوع الخروج منها ، و یظهر الحیاة الحقیقیة والوجود الحقیقی بموت الموت و حیاة الحیاة .

فصل

قالت العرفاء : اعلم ان جهنم تحوی علی‌السموات والارض علی ما کانت علیه السماء والارض اذا کانتا رتقاً فرجعت الی صفتها من الرتق ، والکواکب کلها فیها طالعة غاربة علی اهل النار بالحرور والزمهریر ، بالحرور علی المقرورین[٢٩٧] بعد استیفاء المؤاخذة بما اجرموا ، و بالزمهریر علی المحرورین کذلك ، لیجدوا فی ذلك ضرباً من‌النعیم ، و مالهم من‌النعیم الا ذلك ، و کذلك طعامهم و شرابهم بعد انقضاء مدة المؤاخذة یتناولون من شجرة الزقوم ، لکل انسان بحسب ما یبرد عنه ما کان یحره او یسخنه ، کالظمان بحرارة العطش ، فیجد ماء بارداً ، فیجدله من اللذة لاذهابه بحرارة العطش و لیس لذة وجودیة ، بل من باب النسب ، و کذلك ضده ، ثم الجحیم یبرز و یحضر فی‌العرضة علی صورة بعیر، و جییء بجهنم لیشاهدها اهل العیان ، و برزت الجحیم لمن یری[٢٩٨] فیطلع اهل العرصة لهول مشاهدتها

٢٩٤ـ صافات ٢٥و٢٤ ٢٩٥ـ یس ٥١

٢٩٦ـ ویقال (ن م)

٢٩٧ـ القر ای‌البرد ـ المقرور ـ البارد، وفی مقابلتها المحرور ـ الذی من داخلته حرارة الغلیظ و نحوه .

٢٩٨ـ نازعات ٣٦

علی عدمهم و فنائهم ، فتشرد شردة[۲۹۹] لولا ان حبسهاالله لاحرقت السموات والأرض .

المشهد السابع عشر

فی الاشارة الی ابواب الجنان و ابواب النیران

ابواب الجنة هی التی اشار الیه تعالی فی القران بقوله : والملائكة یدخلون علیهم من كل باب سلام[۳۰۰] و قوله : لاتفتح لهم ابواب السماء ولا یدخلون الجنة[۳۰۱] و ابواب النیران هی المشارالیها بقوله : قیل ادخلوا ابواب جهنم خالدین فیها[۳۰۲] و قوله : حتی اذا جاؤها فتحت ابوابها[۳۰۳] وقوله: لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم[۳۰۴] و هذه الابواب هی بعینها ابواب الجنان عند العرفاء ، فان كلا منها فیه باطن و ظاهر ، باطنه باب‌الجنة و ظاهره باب النیران ، باطنه فیه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب[۳۰۵] و اذا غلقت ابواب النیران فتحت ابواب الجنان ، بل هی علی شكل الباب الذی اذافتح علی موضع انسد عن موضع اخر ، فعین غلقه لمنزل عین فتحه لمنزل اخر الاباب القلب ، فانه مغلق علی اهل الحجاب ، و هوالباب الثامن المختص باهل الجنة، لایفتح لاهل النار.

ولكنهم اختلفوا فی تعیینها ، فقیل : هی الحواس السبع ، و هی‌السمع والبصر والشم والذوق واللمس والخیال والفكر[۳۰۶] وقیل : هی الاخلاق الذمیمة من الفكر والنفاق والكبر والحسد والحرص و طول الامل والبخل وغیرذلك مما لایحصی، ولا شبهة فی ان منشأ دخول الجحیم هوهذه‌الصفات، ولعل لها سبعة جوامع أو سبعة ابواب هی ابواب الجحیم ، و قیل : هی‌الاعضاء السبعة الظاهرة التی وقع التكلیف بها ، و باب القلب مطبوع علیه كما مر، و للنار علی الافئدة اطلاع لادخول لغلق ذلك الباب ، فهو كالجنة محفوف

۲۹۹ـ ای نفرو خرج عن طاعة الله

۳۰۰ـ رعد ۲۳ و ۲۴

۳۰۱ـ اعراف ۴۰

۳۰۲ـ زمر ۷۲

۳۰۳ـ زمر ۷۱

۳۰۴ـ حجر ۴۴

۳۰۵ـ حدید ۱۳

۳۰۶ـ والوهم (اسرارالایات)

بالمكاره ، فما ذكر الله من ابواب النار الا السبعة التى يدخل منها الناس و الجان ، و اما الباب المغلق الذى لايدخل عليه احد هو فى السور ، فباطنه فيه الرحمة باقراره بربوبية الله و عبودية نفسه ، و محل الايمان والمعرفة ، مرحوم سعيد فى الدنيا وفى الاخرة، ليس للعذاب والشقاء فيه مدخل،فباطن الجنان كالجنة حفت بالمكاره ، و ظاهره من قبله العذاب ، و هى النار التى تطلع على الافئدة .

و اما منازل جهنم و دركاتها وخوخاتها[٣٠٧] فعلى قياس ما مر ذكره فى الجنان على السواء ، وليس فى النار نار ميراث ولانار اختصاص او تفضل، و انما ثم نار اعمال فقط ، فمنهم من عمرها بنفسه و عمله الذى هو قرينه ، و من كان من اهل الجنة بقى عمله الذى كان فى الدنيا صورته فى المكان من النار، والذى لو كان من اهلها صاحب العمل لكان فيه ، فانه من ذلك المكان كان وجود ذلك العمل ، وهو خلاف ما كلف به من فعل و ترك ، فعاد الى وطنه كما عاد الجسم عند الموت الى المكان الذى خلق منها ، وكل شىء يعود الى اصله وان طالت المدة، ويرى كل مؤمل ما امله، فانما نحن به وله، فما اخرجنا[٣٠٨] عنا ولا حللنا الابنا .

و اما اسماء ابوابها السبعة فهى اسماؤها المذكورة فى القران : باب جهنم، و باب الجحيم، و باب السعير، و باب سقر، و باب لظى، و باب الحطمة، و باب سجين ، والباب المغلق هو الثامن الذى لا يفتح فهو الحجاب والسد .

و اما خوخاتها فهى شعب الكفر والفسوق، وكذا خوخات الجنة فهى شعب الايمان ، فمن كان على ثقبة منها ، فان له منها تجلياً بحسبها كائنة ما كانت، فمن عمل خيراً على اى وجه كان ، فانه يراه و يجازى ، و من عمل شراً فلابد ان يراه ، و قد يجازى به وقد يعفى عنه ، و يبدل له بخير ان تاب عنه فى الدنيا ، والا فلابد ان يبدل بما يقابله بما يقتضيه ندامته يوم يبعثون ، و يرى الناس اعمالهم يوم القيامة من خير او شر كما نص عليه القران ، فما كان يستوحش منه المكلف عند رؤيته يعود له انس به ، و يختلف الهيئات

٣٠٧ــ الواحدة خوخة ، الباب الصغير فى الباب الكبير .
٣٠٨ــ خرجنا (ن م ل)

فى الدارين مع الانفاس باختلاف الخواطر هنا فى الدنيا ، فان باطن الانسان فى الدنيا هو الظاهر فى الدار الاخرة ، و ما كان غيباً هنا فيعود شهادة هناك، و سنزيدك ايضاحاً .

تذكرة فيها تبصرة

ابواب الجنان كما قيل : هى المشاعر الحيوانية التى بها تدرك عالم الملك، و هى سبعة : الحواس الظاهرة والحاستان الباطنتان ، وهما الوهم والخيال ، احدهما مدرك الصور ، والاخر مدرك المعانى ، كالامانى وغيرها، والثلاثة الباقية من القوى الباطنية ليست مدركة ، بل معينة على الادراك ، كالحافظة والمتصرفة والمسترجعة، والحق ان اطلاق ابواب الجنان على هذه المشاعر ليس على الحقيقة ، بل بضرب من التجوز البعيد ، لان باب الدار ما اذا فتح اليها ، و به يقع الدخول فيها بلامهلة ، و ما هى الا الحواس المحشورة مع النفس الباقية معها ، فان للنفس فى ذاتها سمعاً و بصراً و شماً و ذوقاً و لمساً و تخيلا و وهماً ، و هى و محسوساتها من اهل الجنة ، ان لم يحجبها سد و حجاب، لاهذه الحواس الداثرة ومحسوساتها الفانية الباطلة، و كل نفس تتبع الهوى، ويسخر عقلها الشهوة ويستخدمها الهوى والشيطان، افرأيت من اتخذ الهه هواه[٣٠٩] فيكون كل من المشاعر السبعة سبباً من اسباب طاعة الهوى و انقياد الشهوات ، وبابا من ابواب الوقوع فى الهلكات ، واضله الله على علم[٣١٠] ليصير حاله كما افصح عنه قوله : فاما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى[٣١١] فكل مشعر من هذه المشاعر بمثابة باب من ابواب جهنم ، لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم[٣١٢]

واما العقل النظرى اذا تنور بنور المعرفة والايمان، وخرج من القوة الى الفعل ، وصار كعين صحيحة ، استنارت بنور الملكوت ، فلكونه يدرك حقايق المعارف ، و رئيس سائر المدارك رئيساً مطاعا اذا منع النفس عن هواها ، و سخر الشهوة والقوى الامارة و استخدمها فى سبيل العبودية ، مطالع بكل

٣٠٩- جاثيه ٢٣
٣١٠- جاثيه ٢٣
٣١١- نازعات ٣٧
٣١٢- حجر ٤٤

منها اية من ايات الملكوت و بابا من ابواب المعرفة ، التى لكل منها مشعر خاص، لينتزع منها معانى و يفهم بها اسرار الهية و يقف عليها ، فيستعد بذلك للسعادة القصوى عند تلقى استماع الكلام الالهى من عالم الامر، كما مر تحقيقه فى اوائل هذا المجلد ، بخلاف اهل الهوى والجهالة ، المعرضين عن سماع ايات الله مصرين مستكبرين ، كما قال : يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم[٣١٣] وهم الذين غلقت عليهم الابواب وشدت دونهم الطرق ، و جعلنا من بين ايديهم سداً و من خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لايبصرون[٣١٤] لاتفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط و كذلك نجزى المجرمين[٣١٥] فلا لهم درجة عقل لادراك المعقولات النظرية ، ولا ايضاً لهم سلامة صدر فى تلقى السمعيات العملية ، فلاجرم حالهم فى الاخرة كما اعترفوا حين ما لاينفعهم ذلك : لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى اصحاب السعير ، فاعترفوا بذنبهم[٣١٦] .

فقد علم بما ذكر : ان جميع هذه المشاعر الثمانية حسب ما ذكرنا ابواب الجنان و اسباب مجاورة الرحمن فى حق من صرفها فيما خلقها الله لاجله ، و اما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى ، و اما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى[٣١٧] و فى الاية دليل على ان النفس الانسانية اذا زهدت فى الدنيا صارت من جواهر الملكوت ، فمأواها الجنة و موطنها جوار الله و دار الحيوان .

المشهد الثامن عشر

فى الاشارة الى الزبانية

قال تعالى : عليها تسعة عشر و ما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة و ما جعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا[٣١٨] ....الايات .

و اعلم ان مدبرات الامور فى برازخ عالم الظلمات هى المشار اليها

٣١٣ـ جاثيه ٨
٣١٤ـ يس ٩
٣١٥ـ اعراف ٤٠
٣١٦ـ ملك ١٠و١١
٣١٧ـ نازعات ٣٧ ـ ٣٩
٣١٨ـ مدثر ٣٠و٣١

بقوله : فالسابقات سبقاً فالمدبرات امرا[٣١٩] فهى فى عالم الكبير الجسمانى ، هى ملكوت الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشرية ، فالمجموع تسعة عشر، و كذا فى عالم الصغير الانسانى هى رؤساء قوى المباشرة لتدبير البرازخ السفلية تسعة عشر، سبعة منها مبادى القوى النباتية ، ثلاثة منها الاصول ، و اربعة منها الفروع والخوادم ، و اثنا عشر منها مبادئ القوى الحيوانية ، عشرة منها مبادى الاحساس ، خمسة ظاهرة و خمسة باطنة و اثنتان منها مبدأ التحريك ، الشهوة للجذب والغضب للدفع ، فالمجموع تسعة عشر كما مر.

فالانسان مادام كونه محسوساً فى الدنيا بهذه المحابس الداخلية و الخارجية، مسجونا بسجن الطبيعة ، مقبوضا اسيراً فى ايدى المؤثرات العلوية التسعة عشر، والمؤثرات السفلية التسعة عشر، لايمكنه الصعود الى عالم الجنان و دارالحيوان و معدن الرضوان و منبع الروح و الريحان ، فاذا لم يتجاوز العبد عن تسلط هذه المؤثرات ، ولم يتخلص عن حبسها و رقها و تأثيرها و تسخيرها ، فحاله فى الاخرة كما افصح عنه قوله تعالى : خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه[٣٢٠] فان القيامة داخل حجب السموات والارض، والدنيا ظاهرها كما تعيشون تموتون، وكما تموتون تبعثون .

زين سوى اجل ببين كه چونى

زان سوى اجل چنان بمانى

فاذا انتقل من هذا العالم ، انتقل من السجن الى سجين ، وكان هاهنا ايضاً مسجونا محاطاً بالجحيم ولكن لايحس بها ، وسهى عنها فى غفلة وغطاء ، فاذا كشف عنه الغطاء احس بها ، و انتقلت العذاب من باطنه الى ظاهره فابصره ، فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[٣٢١] فيؤديه المالك الى ايدى هذه الزبانية التسعة عشر، التى من اثار تلك المدبرات ، فيتعذب فى الاخرة بها ، كما كان يتعذب بها فى الدنيا من حيث لايشعر، و من كان على هدى من ربه مستوياً على صراط مستقيم ، صراط الله العزيز الحميد[٣٢٢] وهو

٣١٩ـ نازعات ٤ ‏ ‏ ٣٢٠ـ حاقه ٣٠ـ٣٢
٣٢١ـ ق ٢٢ ‏ ‏ ٣٢٢ـ سبا ٦

صراط جميع الموحدين من‌الانبياء والصديقين والشهداء ، ان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن‌سبيله[٣٢٣] فيسلك سبيل الحق بنورالهداية والمعرفة ، و يصل الى دارالسلام و يسلم عن هذه المهلكات ، و يتخلص عن رق الدنيا واسر شهواتها ، ضرب‌الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون و رجلا سلماً لرجل ، هل يستويان مثلا ، الحمدلله بل اكثرهم لايعقلون[٣٢٤] .

المشهد التاسع عشر

فى‌الاشارة الى نعم الجنة وخازنها، و محن الجحيم ومالكها، وما ينوط بها من شجرة طوبى و غيرها

قال بعض المحققين . اعلم ان الخلق اتصف اولا بالوجود ثم بالعلم ثم بالقدرة ثم بالارادة ، فانه اتى عليه حين من‌الدهر لم يكن شيئاً مذكورا[٣٢٥] و هذا غاية وغول[٣٢٦] الشىء فى العدمية حيث ما كان مذكوراً اسمه و معناه ، اذ رب معدوم يكون معلوما مذكوراً ، ثم مضت عليه برهة من الزمان صار فيها امراً بالقوة كالهيولى الاولى ، والجسمية المبهمة والتركيب ، ثم يصير مصوراً بصورة السلالة من ماء مهين ، و هو فى غاية الوهن والسخافة ، فيفسد اذا بقى حاله فى اقل زمان بادنى سبب من حر او برد او جفاف او غير ذلك، فاودعه الله فى قرار مكين و حفظه عن الافات التى بصددها ، متقلباً فى اطوارالخلقه، حتى صار جنيناً تلجه الروح والحياة ، ثم طفلا سميعا بصيراً ، كما قال سبحانه: هل اتى على الانسان حين من‌الدهر لم يكن شيئا مذكورا ، انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه فجعلناه سمعياً بصيراً[٣٢٧] ثم يقوى و يستكمله و يظهر فيه القدرة والحركة ، ثم ينشأ منه التميز بين الضار والنافع ، فيصير بعد حصول هذه القوى مريداً للنافع و كارهاً للضار، فيخرج من القوة الى‌الفعل فى الانسانية ، و حيث يكون المعاد عوداً الى الفطرة الاصلية و رجوعا الى

٣٢٣ــ انعام ١٥٣
٣٢٤ــ زمر ٢٩
٣٢٥ــ انسان ١
٣٢٦ــ اى ذهب وابعد و توارى
٣٢٧ــ انسان ١ و ٢

البداية فی النهاية ، فينبغی ان ينتفی منه هذه الصفات علی الترتيب المعاكس للترتيب الاول الحدوثی .

فالسالك الی الله تعالی علی الطريق المستقيم لابدان ينتفی اولا منه الارادة ، يستهلك[٣٢٨] ارادته فی ارادة موجده المطلق الواحد الحق ، ولم يبق فيه ارادة ولاخيرة الا خيرة الله ، لان وجود جميع الموجودات انما يتحقق تبعاً لارادة الحق سبحانه ، التی هی عين ذاته ، وهو الموجد الحقيقی فقط ، و ليس لغيره رتبة الابداع ولا الاحداث .

فاذا ثبت و تحقق فی هذا المقام ، و تقرر له هذا الاعتقاد و تيقن به، حصل له مقام الرضا ، و من رضی بما قضی الله تعالی استراح من الالام و الاحزان فيكون ابداً فی سلامة و صحة، و هذا باب الدخول فی لذات النعيم، لانه قد صار مطيعاً لاوامر الله راضياً بقضائه، و قضاؤه لايكون الا خيراً و نعمة ، فيكون ابداً فی الجنة ، لهم ما يشاؤن فيها و لدينا مزيد[٣٢٩] .

والبرهان علی ان من رضی بالقضاء الالهی يكون فی الجنة ، هو: ان رحمة الله واسعة لكل شیء سابقة علی غضبه ، و قد ثبت ايضاً ان وضع العوالم والنشات منه تعالی علی ابلغ النظامات خيراً و كمالا ، ولا قصور ولا شرية الا فی نظر المحجوبين عن درك الحقائق علی وجهها ، فاذا خلص الانسان من تغليط الوهم و تلبيس الشيطان و وساوسه ، وصح ادراكه العقلی و تنور قلبه بنور الهداية و التوفيق ، رای الاشياء فی غاية الجودة والخير والنظام، بل يری وجه الحق الباقی فی كل امر ، وحسن الجمال المطلق و خيره فی كل فعل و اثر ، و كل من رأی خيراً او ادرك جمالا يكون ذلك لذيذاً عنده فيكون ملتذاً راضياً به ، فمن رای صورة جملة العالم علی ابلغ نظام واجود ترتيب فيكون فی جنة عرضها السموات والارض[٣٣٠] و من لم يرض بقضائه لم يكن له من هذا النعيم نصيب ، و كان كما ورد فی الحديث الربانی : من لم يرض بقضائی فليعبد رباً سوائی، وليخرج من ارضی و سمائی، وبهذا الوجه يسمی خازن الجنة رضوانا،لان الانسان مالم يصل الی هذا المقام من المعرفة

٣٢٨ـ بل يستهلك (اسرار الايات) ٣٢٩ـ ق ٣٥
٣٣٠ـ آل عمران ١٣٣

والرضا، لم يكن له الدخول فی باب جنة القرب والمنزلة عندالله والوصول الی دار کرامته، و رضوان من الله اکبر[٣٣١].

ثم بعد هذا المقام لابد و ان ینتفی عن السالك القدرة، حتی لایری لنفسه قدرة مخالفة لقدرة الحق التی لایخرج عنها شیء من المقدورات، فیکون فی مقام التوکل، و هو عبارة عن خروج الشخص عن التصرف فی اموره، و تفویض ذلك الی وکیله، و الاکتفاء به عن نفسه، و من یتوکل علی الله فهو حسبه ان الله بالغ امره[٣٣٢] و هذا مقام التفویض ایضاً فی عرف القوم، وافوض أمری الی الله[٣٣٣].

ثم بعد ذلك لابدوان ینتفی عنه العلم، حتی یضمحل علمه فی علمه تعالی، الذی لایعزب عنه مثقال ذرة فی السموات و لا فی الارض[٣٣٤] و هذا مقام التسلیم، و سلموا تسلیما[٣٣٥].

ثم بعد ذلك لابد ان ینتفی وجوده الداثرة فی وجود الحق الاول الذی به یوجد کل شیء، و بنوره یظهر کل ظل و فئی، حتی لایکون له عند نفسه وجود، کما لایکون له فی نفسه بنفسه وجود، و هذا مقام اهل الوحدة و هوالفناء فی التوحید، اولئك الذین انعم الله علیهم[٣٣٦].

فهذه درجات السالکین الی الله، و بعدها درجات اخری اجل واعظم واکثر مما قبلها، لکن لیس للمقال مجال فی کشفها و توضیحها، اذ لا یفهمها الا اهل الوصال، و هم المستغنون عن المقال بنورالاحوال، فکل من لم یسلك طریقة اهل الوحدة و کان افعاله علی حسب ارادته، فلامحالة یقتضی ارادته الاهواء و الاغراض المخالفة لارادة الحق و مشیته، و لواتبع الحق اهوائهم لفسدت السموات والارض و من فیهن[٣٣٧] فیصیر لامحالة ممنوعا عما استدعاه هواه، محجوبا عما اقتضته شهوته، و حیل بینهم و بین ما یشتهون[٣٣٨] فوقع فی سخط الله و نار غضبه، أفمن اتبع رضوان الله کمن باء بسخط من الله[٣٣٩]

٣٣١ــ توبه ٧٢ ٣٣٢ــ طلاق ٣
٣٣٣ــ غافر ٤٤ ٣٣٤ــ سبا ٣
٣٣٥ــ احزاب ٥٦ ٣٣٦ــ مریم ٥٨
٣٣٧ــ مؤمنون ٧١ ٣٣٨ــ سبا ٥٤
٣٣٩ــ آل عمران ١٦٢

و وصل به الهوى الى الهاوية محروماً عن جميع ما يهواه قلبه ، و يقيد ويغل بالسلاسل والاغلال كما هو صفة المماليك ، ولهذا الوجه يسمى خازن الهاوية مالك .

فيكون له بازاء كل درجة من الجنة والنعيم دركة من النار والجحيم، فله بازاء درجة التوكل دركة الخذلان ، وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده[٣٤٠] و بازاء درجة التسليم دركة الهوان ، و من يهن الله فماله من مكرم[٣٤١] و فى مقابلة درجة الوحدة دركة اللعنة ، اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون[٣٤٢] و كماان انتفاء القدرة والعلم والوجود فى الطائفة الاولى يقتضى لهم القدرة الغير المتناهية والعلم الذاتى اللدنى والوجود المخلد الابدى ، فكذلك فى هذه الطائفة يقتضى استبدادهم بهذه الصفات عجزاً غيرمتناه ، و جهلا كلياً و هلاكاً سرمدياً ، ذلك الخزى العظيم[٣٤٣] .

فصل

واما سر شجرة طوبى وشجرة الزقوم:فهوان العلم والقدرة والارادة التى هى مبادى الافعال البشرية والحيوانية ، و هى صفات ثلاث مختلفة فى الخلق ، و كلها صفة واحدة فى حق الواجب تعالى بالذات ، و انما اختلفت بحسب الاسامى و الاعتبارات و النسب، فيكون واحدة بالذات ثلاثاً بالاعتبار، و عقولنا الانسانية لكونها من سنخ الملكوت و عالم القدس ، فاذا تجردنا عن هذا العالم نصير بحيث اذا تصورنا صورة علمية عقلية او حسية، يكون تلك الصورة هى بعينها مرادة لنا و مقدورة لنا ، كما هى معلومة لنا ، لكونها حاضرة عندنا حاصلة بارادتنا ، بل نفس ارادتنا .

فهذه الامور يصير متحدة فى حقنا كمافى حقه تعالى،وما من شىء الاولنا ان نتصوره ، فاذن كل ما هو متصور لاهل الجنة يكون موجوداً فى الخارج، و كل ما هو موجود فى الخارج فهو من مقدورات الله تعالى، و كل ما هو من مقدورات الله فله ان يتصور فمقدوراته تعالى مقدورات هذا العبد المقرب،

٣٤٠- آل عمران ١٦٠ ٣٤١- حج ١٨
٣٤٢- بقره ١٥٩ ٣٤٣- توبه ٦٣

فيكون مقامه و حكمه ، كما فی‌الحديث القدسی فی صفة اهل‌الله : كنت سمعه الذی به يسمع ، و بصره الذی به يبصر ، و يده التی بها يبطش ، فبی يبصر و بی يسمع و بی يبطش ، الحديث ، وكما ورد ايضاً فيه: يا انسان : اطعنی اجعلك مثلی ، و ليس كمثله شیء[٣٤٤] .

فكل ما يتصوره اهل الجنة يصير مقدوراً له موجوداً عنده من غير تراخ ، فكل ما يتمنی المرء يدركه ، بمعنی ان يجده حاضراً ، فتمنيه و وجدانه يكونان واحداً ، و هذا المقام بحسب المثال هی شجرة طوبی فی الجنة ، التی ورد فی نعتها ، ان كل ما يتمناه ويشتهيه اهل الجنة فهو يحدث فيها دفعة علی وفق شهوتهم و حسب تمنيهم حاضراً عندهم ، طوبی لهم و حسن مآب[٣٤٥] .

و بازاء هذه الملكة و المقام حال الاشقياء حيث يتكثر فيهم هذه الصفات ، لبعدهم عن عالم الوحدة و مقام الجمعية الالهية ، و توزع قواهم و تفرقة حالهم و نزولهم فی عالم التكثر و الاختلاف ، و ركونهم و اخلادهم الی الارض السفلی و المهبط الادنی ، و ميلهم الی الشهوات المتضادة المستحيلة ، فبحسب كل من تلك الشهوات و الامانی المذمومة ، المتولدة من هذه الصفات الثلاث فی نفوسهم ، يتولد نوعا من الحرمان والعذاب ، فيكون لهم بازاء الصفات المذكورة ، انطلقوا الی ظل ذی ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنی من اللهب[٣٤٦] و لهم بدلا من شجرة طوبی شجرة الزقوم ، ان شجرة الزقوم طعام الاثيم[٣٤٧] انها شجرة تخرج فی اصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين[٣٤٨] والطلع عبارة عن مبدأ وجود البذر الموجب لانبات الشجرة ، والشياطين هی امثلة اهواء ردية مغوية ، ان الشيطان ليجری من ابن ادم مجری الدم ، و رؤسها مبادی الاشخاص الشيطانية ، فمبادی اهوية النفس و دواعيها المهلكة هی منشأ انبات هذه الشجرة الخبيثة فی القران ، و منشأها اصل الجحيم و الهاوية ، فتفقه فقهاً اخرويا .

٣٤٤ـ شوری ١١ — ٣٤٥ـ رعد ٢٩

٣٤٦ـ مرسلات ٣٠ و ٣١ — ٣٤٧ـ دخان ٤٣

٣٤٨ـ صافات ٦٤ و ٦٥

روایة فیها درایة

و مما ورد فی مثال معنی شجرة طوبی ومعنی الوسیلة ورضوان ومالک، من طریق الروایة عن موالینا و ساداتنا المعصومین سلام‌الله علیهم اجمعین، ما رواه اعظم المحدثین روایة و ضبطاً و اوثقهم درایة و حفظا ، الشیخ الصدوق الفقیه ابوجعفر محمد بن علی بن بابویه القمی فی کتابه المسمی بمعانی الاخبار بسنده المتصل عن ابی بصیر قال جعفر الصادق علیه السلام : طوبی شجرة فی الجنة ، اصلها فی دار علی بن ابی‌طالب علیه‌السلام ، و لیس من مؤمن الا وفی داره غصن من اغصانها ، و ذلک قول‌الله عزوجل : طوبی لهم و حسن ماب[۳۴۹] .

وروی الشیخ الصدوق مسنداً عن ابی سعید الخدری، قال قال رسول‌الله صلی‌الله علیه واله : اذا سألتم الله لی فاسئلوه الوسیلة ، فسألناه[۳۵۰] عن الوسیلة، فقال: هی درجتی فی الجنة، وهی الف مرقاة مابین المرقاة الی المرقاة حضر[۳۵۱] الفرس الجواد شهراً ، و هی مابین مرقاة جوهر الی مرقاة زبرجد الی مرقاة یاقوت الی مرقاة ذهب الی مرقاة فضة ، فیؤتی بها یوم القیامة حتی تنصب مع درجة النبیین، فهی فی درجة النبیین کالقمر بین الکواکب فلایبقی یومئذ نبی ولا شهید ولاصدیق الاقال : طوبی لمن کانت هذه الدرجة درجته ، فیأتی النداء من عندالله عزوجل یسمع النبیین و جمیع الخلق : هذه درجة محمد صلی‌الله علیه واله ، فاقبل انا یومئذ مؤتزراً بریطة[۳۵۲] من نور علی تاج الملک واکلیل الکرامة ، و علی بن ابی طالب امامی و بیده لوائی ، و هو لواء الحمد، مکتوب علیه : لااله الا الله ، المفلحون هم الفائزون ، فی حدیث طویل ، فیه ایضا : فبینا انا کذلک اذ الملکان قداقبلا الی ، اما احدهما فرضوان خازن الجنة ، و اما الاخر فمالک خازن النار ، فیدنو رضوان و یقول : السلام علیک یا احمد ، فاقول : السلام علیک ایها الملک، من انت؟ فمااحسن وجهک واطیب ریحک ، فیقول : انا رضوان خازن الجنة ، و هذه مفاتیح الجنة بعث بها علیک رب العزة ، فخذها یا احمد فاقول : قد قبلت ذلک من ربی ، فله الحمد علی

۳۴۹ــ رعد ۲۹
۳۵۰ــ النبی (معانی)
۳۵۱ــ ای ارتفاع الفرس فی عدوه
۳۵۲ــ ای کلّ ثوب یشبه الملحفة (الکفن)

ما فضلنی به ربی ، ادفعها الی اخی علی بن ابی طالب ، ثم یرجع مالك فیقول: السلام علیك یا احمد، فاقول : السلام علیك ایها الملك ، فما اقبح وجهك و انكر رؤیتك[٣٥٣] فیقول : انا مالك خازن النار ، و هذه مقالید النار بعث بها الیك رب العزة ، فخذها یا احمد ، فاقول : قد قبلت ذلك من ربی فله الحمد علی ما فضلنی به، ادفعها الی اخی علی‌بن‌ابی‌طالب، ثم یرجع مالك فیقبل علی و معه مفاتیح الجنة ومقالید النار، حتی یقف علی حجزة[٣٥٤] جهنم، و قد تطایر شررها و علا زفیرها و اشتد حرها ، و علی اخذ بزمامها ، فیقول له جهنم : جزنی یا علی ، فقد اطفأ نورك لهبی ، فیقول لها علی : قومی یا جهنم : خذی هذا ، و اترکی هذا ، خذی هذا عدوی و اترکی هذا ولیی ، فلجهنم اشد مطاوعة لعلی من غلام احدکم لصاحبه ، فان شاء یذهبها یمنة ، و ان شاء یذهبها یسرة ، و لجهنم اشد مطاوعة له[٣٥٥] فیما یأمرها به من جمیع الخلائق .

هذا اخر هذا الحدیث ، فیه اسرار شریفة و تأویلات و محامل لطیفة ، یمکن استخراجها و انتزاعها لمن تدبر و تأمل فی الاصول التی اکثرنا من ذکره .

و بالجملة تحصیل رضوان من‌الله انما یتیسر لعبد رضی بقضاء الله ، و مفتاح ذلك هو العلم بحقائق الایمان بالله و ایاته وافعاله و کتبه و رسله، و هذه المعارف الالهیة سیماما یتعلق باحوال المعاد مما لایستقل بادراکه العقول البشریة علی طریقة النظر البحثی ، بل یحتاج الی اقتباس النور من مشکوة خاتم النبوة صلی‌الله علیه واله بواسطة مشکوة اول اوصیائه واشرف اولیائه، فان انوار العلوم الربانیة انما انتشرت فی نفوس المستعدین القابلین للهدایة من بدرالولایة و نجم الهدایة علی امیرالمؤمنین وبعده من اولاده المطهرین المنورین بروج العصمة صلوات‌الله علیهم اجمعین ، بعد استفاضته عن شمس النبوة ، کما افصح عنه قوله صلی‌الله علیه واله : انا مدینة العلم و علی بابها، ولا شبهة ان الحق مع علی و علی مع الحق ، و من خالف الحق ضل و غوی

٣٥٣ــ من انت ؟ فیقول (معانی) ٣٥٤ــ بحجزة (معانی)
٣٥٥ــ یومئذ (معانی)

و تردى الى الجحيم ، و ماذا بعد الحق الا الضلال[٣٥٦] .

فقد ثبت و تبين بالبرهان ان مبنى[٣٥٧] دخول الجنة والنار بمتابعة على و مخالفته ، فهو قسيم الجنة والنار ، و بيده مفاتيح الجنة و مقاليدالنار ، و هكذا حكم اهل البيت عليهم السلام لقوله صلى‌الله عليه واله : مثل اهل بيتى كمثل سفينة نوح ، من ركب عليها نجى و من تخلف عنها غرق ، و على شبه ما ذكرناه يأول مثال شجرة طوبى، و كون اصلها فى‌دار على بن ابى‌طالب، و فروعها فى بيوت شيعته ، فان اصول المعارف موجود فى بيت قلبه المقدس و دار قالبه المنور بانوار الرحمة و يتفرع و يتشعب منها العلوم العقلية والفروع الفقهية فى قلوب المجتهدين من علماء الامة والمقلدين من أتباعهم الى يوم القيامة .

قال العارف المحقق والواصل المحقق قدس سره فى الفتوحات المكية : اعلم ان شجرة طوبى لجميع شجر الجنات كادم لما ظهر منه من البنين ، فان الله لما غرسها بيده و سواها نفخ فيها من روحه ، كما فعل بمريم[٣٥٨] نفخ فيها من روحه ، فكان عيسى عليه‌السلام : يحيى الموتى و يبرىء الاكمه والابرص ، و شرف ادم باليدين[٣٥٩] و نفخ فيه[٣٦٠] فاورثه نفخ الروح فيه علم الاسماء ، لكونه مخلوقا باليدين ، و لما تولى الحق غرس شجرة طوبى و نفخ فيها زينها[٣٦١] بثمر الحلى والحلل ، اللذين هما زينة للابسهما ، فنحن ارضها[٣٦٢] كما جعل ما على الارض زينة لها[٣٦٣] واعطت فى ثمر الجنة كله من حقيقتها عين ما هى عليه ، كما اعطت النواة النخلة و ما تحمله مع النوى التى فى ثمرها ، فكل من تولاه الحق بنفسه من وجهه الخاص ، فانه به مشفوق و ميزه على من ليس له هذا الاختصاص ولا هذا التوجه ، انتهى كلامه.

٣٥٦ـ يونس ٣٢ ٣٥٧ـ يبنى (ن م ل)

٣٥٨ـ فى مريم (فتوحات)

٣٥٩ـ عنى الشيخ قدس‌سره باليدين : الحديث المشهور الذى قال الله تعالى : خمرت طينة ادم بيدى اربعين صباحا .

٣٦٠ـ الروح فيه (فتوحات)

٣٦١ـ طوبى بيده و نفخ الروح فيه زينها (فتوحات)

٣٦٢ـ فان الله (فتوحات) ٣٦٣ـ كهف ٧

و قد ظهر منه ان شجرة طوبى يراد بها اصول المعارف و الاخلاق الحسنة ، ليكون زينة للنفوس القابلة التى بمنزلة ما على الارض زينة لها ، و ذلك لان ارض تلك الشجرة اذا كانت نفوسنا ، فحليها وحللها لابدان تكون من قبيل زينة العلوم و المعارف و محاسن الاخلاق .

المشهد العشرون

فى‌كيفية تجدد الاحوال، على اصحاب الجنة واصحاب النار

اما اصحاب النار و اهل العذاب فلا شبهة فى تجدد احوالهم وتبدل جلودهم و استحالتها ، و انتقال ابدانهم من صورة الى صورة و من صفة الى صفة ، لصريح قوله تعالى : كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب[٣٦٤] و لاشك فى ان تبديل الجلود و استحالة الابدان لابد فيه من حركة دورية صادرة من الافلاك و ما فيها بحسب ما قدره‌الله بعد قضائه الازلى ، فيكون الحكم فى اهل النار بحسب ما يعطيه الامر الالهى الذى اودعه الله فى حركات الاقصى ، و فى الكواكب الثابتة[٣٦٥] فى سباحة الدرارى السبعة المطموسة الانوار، فهى‌كواكب لكنها ليست بثواقب ولا مضيئة ، و لها تأثير فى حقهم بفنون العذاب و صنوف العقاب بحسب ما يقتضيه سوابق اعمالهم و مبادى افعالهم و اعتقاداتهم و نياتهم .

و لهذا قال بعض العرفاء : حكم النار و اهلها يقرب من حكم الدنيا و اهلها ، فليس للذين هم من اهلها الخالدين فيها بعد انقضاء زمان الانتقام نعيم خالص ولا عذاب خالص ، كما قال تعالى : لايموت فيها ولا يحيى[٣٦٦] والسر فى ذلك : انه بقى فيهم ما اودع الله فيهم من اثار حركات الافلاك، و لم يقع لهم توفيق الخروج من حكم الطبيعة و تأثيرها ، فلاجرم لم ينجوا من عذاب النار و ان تغير منهم على قدر ما تغير من صور الكواكب بانتبديل

٣٦٤ـ نساء ٥٦

٣٦٥ـ الالهى بما اودعه من‌القوة المحركة الجابرة للفلك الاقصى على حركاته ، والكواكب الثابتة . . . (اسرار الايات) .

٣٦٦ـ اعلى ١٣

والطمس والانكدار والانتثار ، ولا تغير لها بحسب الذات الا ما شاء الله، كما قال تعالى : فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك[٣٦٧] .

و اما اصحاب الجنة فليس لهم مثل هذا التجدد والاستحالة و تغير الاحوال الذى يكون لاهل النار ، لارتفاع نشأتهم عن نشأة الطبيعة و حكمها، فحركاتهم و افاعيلهم نوع اخرما فيها نصب ، و اعمالهم مافيها لغوب ، لان السموات و دوراتها مطوية فى حقهم، ولهم مقام طى الزمان وطى المكان[٣٦٨] و زمانهم زمان يجمع فيه الماضى والمستقبل من هذا الزمان فى لحظة و ان منه ، و مكانهم مكان يحضر فى مجلس جميع ما يسع له السموات والارض .

و مع هذا تكون الجنة و نعيمها من جملة المحسوسات والمقداريات، الاانها ليست طبيعية، بل محسوسة صرفة مجردة عن عالم الطبيعة والهيولى[٣٦٩] كما ان ما يراه الانسان فى نومه محسوسات غير طبيعية ، و النوم جزء من اجزاء النبوة ، و نشأته مثال النشأة الاخرة ، و يرى الانسان فيها مالا وجود له فى عالم الدنيا اجمع .

قال الشيخ الكامل المحقق قدس سره فى الباب السابع والاربعين من الفتوحات المكية : فلاتزال الاخرة دائمة التكوين ، فانهم يقولون فى الجنان للشىء الذى يريدونه كن فيكون ، فلا يتوهمون امراً ما[٣٧٠] ولا يخطر لهم خاطر خوفا من عذاب الحر[٣٧١] مما هم فيه الا و تكون فيهم ، اولهم ذلك العذاب ، و هو عن حضور الخاطر[٣٧٢] فان الدار الاخرة تقتضى تكوين الاشياء حساً و بمجرد حصول الخاطر و الهم والارادة والتمنى والشهوة ، كل ذلك محسوس و ليس ذلك فى الدنيا ، اعنى من الفعل بالهمة لكل احد، وقد كان

٣٦٧ــ هود ١٠٦

٣٦٨ــ مقام فيه يطوى الزمان والمكان (اسرار الايات)

٣٦٩ــ من المحسوسات بلاشبهة، الا انهاليست طبيعية مادية، بل محسوسة، و وجودها وجود ادراكى حيوانى مجرد عن الطبيعة والهيولى المستحيلة الكائنة الفاسدة (اسرار الايات) .

٣٧٠ــ اى اهل النار، وفى الفتوحات : فلايتوهمون امراً ولا يخطر لهم خاطر فى تكوين امر الا و يتكون بين ايديهم، و كذلك اهل النار لايخطر . . .

٣٧١ــ اكبر (فتوحات)

٣٧٢ــ وهو عين حصول الخاطر (فتوحات)

ذلك لغير الولى ، كصاحب العين والغرامية بافريقية ، انتهى كلامه .

و من عرف كيفية قدرة الله فى وجود الخيال و ما تجده النفس فيه من الامور الواسعة و الاعداد والاشكال الكثيرة مع كيفياتها و احوالها فى طرفة عين[٣٧٣] ثم راى اثر ذلك فى المحسوس لكن بعين الخيال لابعين الحس، كما راه اهل المكاشفة فى‌زمان قليل بل فى لحظة واحدة، مما يقع فى تضاعيف السنين من زمان الحياة الدنيا فى عالم الطبيعة ، فهو من هاهنا يعلم علم تجسد الارواح و تصور الاعمال والنيات فى القيامة ، و تمثل الاشخاص الملكية عندالانبياء و الاولياء عليهم السلام ، و نزولهم بالوحى و الكرامات فى صور الاجسام المحسوسة لظهور سلطان الاخرة على قلوبهم .

و قد يقع الشك والالتباس لبعض المكاشفين ، ان ما يراه هل يراه بعين الحس اوبعين الخيال ؟ و كذا فى تجسد الارواح فى صورة القوالب البشرية و غيرها ، هل هى عين ذلك الروح او عين الصورة التى ظهر فيها ؟ و هل ذلك فى عين الرائى فقط كما فى زرقة السماء ، ام فى نفس الامر لها وجود مع قطع النظر عن ذلك المظهر من خيال اوحس ؟ و هل الروح لتلك الصورة كالروح للجسم ، اعنى النفس المدبرة لبدنها ، و تلك الصورة صورة حقيقية، والحق انها صورة حقيقية[٣٧٤] موجودة فى‌الواقع، الاان شرط تحققها وجود الرائى وحفظه اياها والتفاته نحوها، و كذلك الصور التى اوجدها الله لاهل الجنة واعطاهم الاقتدار على انشائها و حفظها بقوة العزيز الحميد .

قال‌الشيخ العارف المكاشف فى‌الباب‌الثالث والسبعين وثلثمأة اشارة الى‌هذا المطلب وهذه مسألة اغفلها كثير من‌الناس بل كلهم، فانهم‌قنعوا بما يظهر لهم‌من‌صور‌الارواح‌المتجسدة، فلوتروحنوا فى‌نفوسهم‌وحكموا‌بالصور على اجسامهم و تبدلت اشكالهم و صورهم فى عين من يراهم ، علموا عند ذلك تجسد الارواح لما ذا يرجع ، فانه علم ذوقى لاعلم نظرى فكرى ، وقد بينا : ان كل صورة تحدث[٣٧٥] فى‌العالم فلابدلها من روح يدبره[٣٧٦] من‌الروح

٣٧٣ـ عين هان عليه التصديق (اسفار) ٣٧٤ـ لها وجود (فتوحات)

٣٧٥ـ تجسدت (فتوحات) ٣٧٦ـ مدبرة (فتوحات)

الكل، المنفوخ منه فی الصورة[٣٧٧] و من علم ان الصورة المتجسدة فی الارواح اذا ماتت ان كانت حيواناً او قطعت ان كانت نباتا، انها تنتقل الی البرزخ، ولابد كما ننتقل نحن بالموت، و انها ان ادركت بعد ذلك انما تدرك كما يدرك كل ميت من الحيوان انسان او غيره[٣٧٨] فمن هاهنا ايضاً اذا وقعت[٣٧٩] علی علة، علمت صور الارواح المتجسدة لماذا ترجع، انتهی كلامه.

و لولا مخافة التطويل و الاطناب مع صعوبة فهم مثل هذا المرام عن تقرير الكلام لبينت السبب والعلة فی ذلك، والمرجع فيما ذكره الی ماذا، و ان ادی الی تحريك سلسلة الحمقی الغافلين عن عالم المسری[٣٨٠] المهيمين بتمام الهمة فی اغراض النفس والهوی.

و قال ايضاً فی الباب الثالث والسبعون[٣٨١] : لايعرف هذا الا من عرف قدرة الله فی وجود الخيال فی العالم الطبيعی، و ما يجده العالم به من الامور الواسعة فی النفس الفرد و الطرفة، قال : و من وقف علی حكاية الجوهری رای عجبا من[٣٨٢] هذا الباب، حيث ذكر عن نفسه انه خرج بالعجين من بيته الی الفرن[٣٨٣] وكانت عليه جنابة، فجاء الی شط النيل ليغتسل، فرای وهو فی الماء مثل ما يری النائم كأنه فی بغداد وقد تزوج واقام مع المرأة ست سنين، واولدها اولاداً، ثم ردالی نفسه و هو فی الماء، وفرغ من غسله و خرج و لبس ثيابه و جاء الی الفرن، و اخذ الخبز و جاء الی بيته و اخبر اهله بما ابصره فی واقعته، فلما كان بعد اشهر جاءت تلك المرأة التی رای انه تزوجها فی الواقعة تسأل عن داره، فلما اجتمعت به عرفها و عرف الاولاد و ما انكرهم، و قيل لها : متی تزوج بك ؟ قالت : منذ ست سنين، و هؤلاء اولاده منی، فخرج فی الحس ما وقع فی الخيال، و هذه من مسائل ذی النون المصری، الستة التی تحيلها العقول، فلله قوی فی العالم خلقها مختلفة الاحكام، كاختلاف حكم العقل فی العامة، من حكم البصر، من حكم

٣٧٧ـ الصور (فتوحات)

٣٧٨ـ او غير انسان (فتوحات)

٣٧٩ـ وقفت علی علم هذا (فتوحات)

٣٨٠ـ ای سار ليلا

٣٨١ـ فی السئوال الثانی و الستون

٣٨٢ـ و هو من (فتوحات)

٣٨٣ـ ای المخبز

السمع ، من حكم الطعم و غيرذلك من‌القوى التى فى عامة الناس ، اختص الله اوليائه بقوى لها مثل هذه الاحكام ، فلاينكرها الا جاهل بما ينبغى للجناب الالهى من الاقتدار ، و فى معراج رسول‌الله صلى‌الله عليه واله ما فيه كفاية فى هذا الباب ، مع بعد هذه المسافات التى قطعها فى‌الزمان القليل ، انتهت عبارته .

المفتاح العشرون

فى الاشارة الى الرياضة و تقسيمها

معنى الرياضة للبهائم منعها عن اقدامها على ما تريد من الحركات المختلفة التى ليست مرضية للراكب ، و اجبارها مدة على ما يرتضيه الرايض ليتمرن على طاعته، فهكذا القوة الحيوانية التى هى مبدأ الادراكات والافاعيل الحسية فى الانسان اذا لم يكن مرتاضة مطيعة للروح كانت بمنزلة بهيمة عاصية غير مرتاضة، فيستخدم القوة الناطقة فى اغراضها الحيوانية فتدعو بها شهوتها تارة و غضبها اخرى اللذان منشاؤهما المتخيلة والمتوهمة ، اما اذا راضتها القوة العاقلة يمنعها من التخيلات والتوهمات والافاعيل المثيرة[1] للشهوة والغضب ، و تجبرها على ما يقتضيه العقل العملى ، الى ان تصير متمرنه على طاعة الحق فى خدمته ، مؤتمرة بامره ، منتهية بنهيه ، كانت العقلية مطمئنة لايصدر عنها أفعال مختلفة المبادى والأغراض ، و باقى القوى الجسمانية باسرها مؤتمرة مسائلة لها ، اذ هى من توابع القوة الحيوانية ، فمتى صارت مطيعة للعقل تتبعها القوى كلها .

ثم ان الرياضة ضرب من المجاهدة ، والمجاهدة جنسان : جسمانى و روحانى .

اما الجسمانى فنوعان : خارج و داخل ، اما الخارج فهو المحاربة مع اعداء الله الخوارج المارقين من الدين ، المفارقين عن سنن قوانين البراهين ، و هو الاصغر من الجهادين ، لكونه اقل نفعاً من الاخر ، لان تأديب

---

١ ــ اى المهيج

الموذيات الداخلة اكثر نفعاً فى الاولى والاخرى من تأديب الموذيـات الخارجة ، ولهذا قال صلى‌الله عليه واله : رجعنا من الجهاد الاصغر الـى الجهاد الاكبر، و هو المجاهدة مع القوى الداخلة .

و اما الداخل فصفتان : اماطة واتيان .

اما الاماطة فهى تطهيرالبدن عن الاذى والقاذورات الحسية ،كمـا قال صلى‌الله عليه واله : ادنى شعب الايمان اماطة الاذى عن الطريق ، والاذى كل ما يؤذيك و يغويك عن سلوك طريق الحق والخير .

اما الاتيان فضربان : مالى و بدنى ، اما المالى فقسمان : مكرر فى كل سنة او شهر، و غير مكرر، بل هو حتم فى جميع العمر مرة كالحج ، و هذا الضرب من باب اماطة الاذى ، اذ هو تنحية[2] المال عن خزانة القلب ، لئلا يشغله ، و هو اقل نفعاً فى احوال الاخرة ، اذ طرح الحمل الثقيل لايوجب زيادة درجة فى المنزل ، بل لايوجب درجة اصلا سوى خفة حاصلة بسبب طرحه ، و تلك الخفة ليست سعادة اخروية ، و انما هى زوال شقاوة فقط ، و لهذا قال تعالى : و ما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من امن و عمل صالحاً[3] صرح بان المقرب الى الحضرة الجلالية هو الايمان، والعمل الصالح لها ، و كذلك قوله تعالى : خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها[4] و فرق بين تزكية الشىء عن النجاسة و بين تحليته و تطييبه بالمسك والكافور .

و اما الضرب البدنى فهو ايضاً قسمان : ترك و فعل ، اما الترك فنوعان: تـرك لازم كالصوم ، فانه كف عن شهوتى البطن والفرج ، و ترك متعـد كالايلام ، فانه عدم التعرض لايذاء النوع بالغيبة والفحش والضرب ونحوها.

و اما الفعل فهو ايضاً لازم و متعد ، اما المتعدى فكالقرابين[5] النافعة للمساكين،وهذا ايضاًمن‌باب الاماطةلقلة نفعه،اذهودفع المانع‌وقطع‌العايق، و لهذا قال تعالى : لن ينال‌الله لحومها ولا دماؤها ولكـن يناله التقوى

٢ـ اى ازالة، من باب نحى تنحية ٣ـ سبا ٣٧

٤ـ توبه ١٠٣

٥ـ الوحدة القربان ، اى كل ما يتقرب الى الله من ذبيحة و غيرها .

منكم[٦].

و اما اللازم فكا الصلوة والذكر و التسبيح والتهليل ، ولكل واحدة من هذه الطاعات والعبادات البدنية روح و جسم.

اما جسمه فهو الحركات المحسوسة السكنات الظاهرة ، ولايخلو هذا النوع من مشاركة بين الخالق والخلق يسمى رياء ، اذ هو منظور لكل احد، و يسمى شركاً خفياً ، ولهذا قال صلى‌الله عليه واله : الشرك فى امتى اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء.

و اما روحه فهو الاخلاص الكامل والنية الباطنة ، وهو المحسوب من الطاعتين لاغير فى‌الموازين القسط ،و ما سواه فهو فى ميزان ما عمل له ، كما قال فى الحديث القدسى : من عمل عملا اشرك فيه معى غيرى ، تركته و شركه، و لهذا قال تعالى: الالله الدين الخالص[٧] و قال: من كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه احدا[٨] الا ان الطاعات الابدانية قناطر العبادات الروحانية، ربطت عليها للعبور الى رياض الاخلاص الباطنى، كما قال صلى‌الله عليه واله : الرياء قنطرة الاخلاص ، وافضل العبادات البدنية الصلوة ، لكون روحها افضل ، و نقاء الروح يدل على صفاء الجسد وبالعكس، لان‌اشراق‌البيت على قدرشروق‌السراج، ودلالة شروق‌السراج على شروق‌البيت على‌نسبة شروقه، وروح‌الصلوة‌المعرفة بالله، وهى‌افضل‌المعارف، لكونه معروفها، وهوذات‌الله جل جلاله افضل المعروفات، ولهذا لايسقط عن المكلف لعذرما ، حتى عند موته ، كما ان المعرفة لايسقط فى وقت ما ، بل يتوجه عليه دائماً فى‌الدنيا والعقبى ،كما قال عيسى عليه‌السلام : و اوصانى بالصلوة والزكوة مادمت حيا[٩] اى اوصانى الوحى الالهى بالتزكية والتخلية ما دمت حيا ، والحياة للنفس الناطقة دائمة ، اذ هى لاتموت بموت الجسد كما عرفت، فلا تفهمن من الحياة المذكور فى‌الاية : الحيوة الدنياوية ، بل ما خلق الانسان الا مجبولا عليها ، كما قال تعالى : و ما خلقت الجن والانس

٦ــ حج ٣٧ ٧ــ زمر ٣

٨ ــ كهف ١١٠ ٩ــ مريم ٣١

الا ليعبدون[١٠] و لهذا قال صلى الله عليه واله : الايمان بضع و سبعون شعبة، فافضلها قول لا اله الا الله .

و مما يدل على ان لكل عبادة من هذه العبادات الظاهرة روحاً هو المقصود بالذات ، و ما سواه مقصود له ، قوله تعالى : ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر[١١] و هذا جسد الصلوة ، و قوله : ولذكر الله اكبر[١٢] هذا روحها ، وقد وصف بكونه الاكبر، لان المراد بالذكر ذكر القلب دون لقلقة اللسان ، والقلب لما كان اشرف الاعضاء ، وجب به ان يكون طاعته اكبر و افضل من غيره .

و اما روح الحج و الصوم وقد عرفتهما و حاصل كل العبادات البدنية راجع الى قسمى التزكية والتحلية ،كما حصر قوله تعالى : قد افلح من تزكى[١٣] هو قسم التزكية ، وذكر اسم ربه فصلى[١٤] هو قسم التحلية ، والى العبادات البدنية كلها اشار قوله تعالى : وثيابك فطهر[١٥] وقد اشتمل على جلها فن الفقه الدينى و هو ربع العبادات دون الارباع الثلاثة .

و اما المجاهدة الروحانية فنوعان : تزكية و تحلية ، اما التزكية فعن رذائل القوى ، و أمها العشق على متاع الدنيا و مزخرفاتها ، و لهذا قال صلى الله عليه واله : حب الدنيا رأس كل خطيئة ، و ما خلاه فهى بناتها ، و امهاتها ثلاث :

الحرص الذى بلى به ادم فى الجنة ، حتى اخرج منها باستهانة و مذلة بعد ما بدر عنه ذلة ، و هى نوعان : شره على الاكل ، و شبق على النكاح ، و يشملها اسم الهوى ، والثانى ولد الاول ،كما ان الاول بذر الثانى ، ولكون الهوى شوكاً ذا غصون جمة و علائق عمة فى رجل السالك ، خصه الله بالذكر دون ما سواه فى قوله : و نهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى[١٦] ولما كان طاعة الهوى سبب الخروج من الجنة ، وجب ان يكون

١٠ــ ذاريات ٥٦
١١ــ عنكبوت ٤٥
١٢ــ عنكبوت ٤٥
١٣ــ اعلى ١٤
١٤ــ اعلى ١٥
١٥ــ مدثر ٤
١٦ــ نازعات ٤٠ و ٤١

عصيانها سببا لدخولها ، لا سببا مستقلا ، بل السبب هو كونه خائفاً مقام ربه ، و كف النفس شرط له ، فيكون المجموع علة تامة .

والام الثانى الكبر الذى امتحن به ابليس ، حتى طرد من الباب ولزم الهبوط الى محط الخراب ، كما قال : اهبطوا منها جميعاً[17] وصار سبباً للعنه و خسائه عن العتبة العالية ، و تقرينه بقرناء الاطلال البالية .

والام الثالث الحسد الذى منى به قابيل حتى قتل اخاه المؤمن ، فلهذا خلد فى النار كما قال تعالى: من يقتل مؤمناً متعمدا[18] . . . الاية ، و فى الاية مبالغة قوية و تهديد تام ، و سببه ان من قتل نفساً شخصية ، فقد قتل نوعاً كلياً ، لان الكلى من الشخص الجزئى ، و بقاء النوع به ، و لهذا قال : من قتل نفساً بغير نفس . . . . ، فكأنما قتل الناس جميعاً[19] فاهرب من كلب الحسد هربك من الاسد ، فما انجس شأن شينه ، و ما انجس شأن عينه ، حيث افضى الى رفع نوع الانسان و عنه راساً ، و لهذا قيل :

كل العداوة قد ترجى ازالتها الا عداوة من عاداك من حسد

فهذه الرذائل الثلاث امهات الخبائث المنبثة فيما بين الخليقة الانسية ، ولكون اصولها رواسخ فى الطباع ، و فروعها شوامخ باسقات على ذرى النفوس ، قال صلى الله عليه واله : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، و هو من فروع الهوى و الحرص ، و هوى متبع ، و اعجاب المرء بنفسه ، و هى كلها ناشية من القوى الثلاث التى هى الشهوة والغضب و القوة المدبرة للحياة البدنية ، و كل واحد منها محفوف بدرجتى الافراط والتفريط ، و اوساطها التى هى الصراط المستقيم يسمى باسامى ثلاثة : الشجاعة اوسط القوة الغضبية ، والعفة اوسط القوة الشهوية ، والعدالة والحكمة العملية اوسط القوة المدبرة ، و مجموعها يسمى باسم العدالة ، فهذا نوع التركية التى احد نوعى المجاهدة الروحانية ، المعنى بقوله تعالى : والرجز فاهجر[20] وقد اشتمل على تفاصيلها و معرفة ماهياتها و كيفية معالجتها علم الاخلاق ، و يسمى طباً روحانياً .

۱۷ـ بقره ۳۸ ۱۸ـ نساء ۹۳
۱۹ـ مائده ۳۲ ۲۰ـ مدثر ۵

و اما نوع التحلیة فهو انما یحصل بتحصیل الفضائل و المعارف النظریة، وقد اشرنا الیه فی هذا الکتاب بما فیه مقنع و بلاغ، و هو مستنبط من القران کما ستطلع علیه[٢١] ولکل واحدة من نوعی الحکمة فائدة خاصة به لا توجد فی صاحبه، کما ان فائدة شرب الماء الارواء، و فائدة اکل الخبز الاشباع، و من المحال ان یوجد الارواء من اکل الخبز والاشباع من شرب الماء.

اما فایدة التزکیة فخروج النفس الناطقة من ارجاس القوی نقیة صافیة، کما یخرج الثوب عن ید القصار بعد قصارته و تحویره[٢٢] فی اطوار متعددة، تارة بالماء والنار، و تارة بالحست[٢٣] والقرص[٢٤] و دفعة بالعصرو الدق، وکذا الجلد المدبوغ بعد نزع الفضلات بالاشیاء الحارة.

و اما فائدة التحلیة فالتخلق بالاخلاق الالهیة الجمیلة، حتی یصیر مراة مجلوة و صحیفة متلوة یشاهد فیها صورالوجود کله علی شکله واستنارته و هیئته واستدارته فحینئذ یصلح لنظر عین الجمال المطلق التی لاتنام، صاحب الجلال والاکرام، فان الله لاینظر الی صورکم بل ینظر الی قلوبکم، و من هذا یعلم ان المقصود بالذات من الریاضتین، النفسانیة دون الجسمانیة، و ما احسن قول الفیلسوف ابی علی بن سینا فی هذا المعنی حیث یقول:

هذب النفس بالعلوم لترقی
و تری الکل فهی للکل بیت

فالنفس کالزجاجة و العقل سر
اج و حکمة الله زیت

فاذا اشرقت فانک حی
و اذا اظلمت فانک میت

فلهذه خصها الله تعالی بالذکر فی قصة مریم علیها السلام، وکانت

٢١ـ یعلم منه انه قدس سره کتب هذا الکتاب المستطاب مقدمة لتفسیره، کما ذکر قبیل هذاو کتب بعضه، ای من التفاسیر، ولم یتفق له اتمامه، و قال کما ستطلع علیه اشارة الی تفاسیره.

٢٢ـ ای تغسیله ٢٣ـ ای حك و ازالة

٢٤ـ ای غسله باطراف الاصابع

ولية ماشية على الماء، لكونها منفوخة فيها روح الهواء المبعوث من الملك الاكبر والروح الاعظم، حيث قال: واذكر فى الكتاب مريم اذانتبذت من اهلها مكانا شرقيا[٢٥] اى ناعت جانباً من القوى بانسلاخها عنها، و انما خص مكانها بالشرقى، لان الفيض انما ينبعث من ناحية العقول وهى شرق عالم الوجود، فاتخذت من دونهم حجابا[٢٦] بقطع علائقها و حبالها، فلما تم ميقات ربها اربعين او اكثر، وكانت هى فى تلك الايام مشتغلة بالتزكية و التحلية من الذكر والفكر، فاضت عليها الآثار العلوية، وتناثرت على روحها الانوار الغيبية، و تمثلت على شبح انسان[٢٧] امرد، والمرودة كناية عن كونه مجرداً عن المادة و علائقها، و هو قوله: فتمثل لها بشرا سويا[٢٨] فنفث فى روعها الرياح المنشورة بين يدى رحمته، فصار بذراً للقوة العاقلة فيها، فحملته فتغيرت حالها عما كانت عليه، من جهة ان تلك الانوار مبدلة لجوهر النفس، فانتبذت به مكانا قصياً[٢٩] لانها استشعرت من الحساد وكيدهم، كما كادت اخوة يوسف به، و توهمت تكذيبهم اياها، فهجرتهم هجراً جميلا، واتخذت الى ربها سبيلا.

فلما انقضت مدة حملها تسعة شهراً او اكثر او اقل، كما كان لموسى عند ربه اربعون ليلة، و عند شعيب ثمان سنين، فاجائها المخاض الى الجذع النخلة[٣٠] المخاض الطلق، و هو وجع الولادة، وهو كناية عن خروج القوة العاقلة من القوة الى الفعل لصعوبته و وعورته، فناديها من تحتها[٣١] و هو الروح الواهب لتلك القوة، و مخرجها من القوة الى الفعل، الا تحزنى[٣٢] لانها كانت ولية، و اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون[٣٣] و هزى اليك بجذع النخلة[٣٤] امرها باستعمال القوة الفكرية، لانها معينة للعقل على حصول الكمالات له، تساقط عليك رطباً جنيا[٣٥] يتناثر عليك من رطب المعارف

٢٥ــ مريم ١٦
٢٦ــ مريم ١٧
٢٧ــ انسانى (ن م ل)
٢٨ ــ مريم ١٧
٢٩ــ مريم ٢٢
٣٠ــ مريم ٢٣
٣١ــ مريم ٢٣
٣٢ــ مريم ٢٤
٣٣ــ يونس ٦٢
٣٤ــ مريم ٢٥
٣٥ــ مريم ٢٥

والعلوم ، و هذه النخلة هى شجرة موسى عليه السلام ، التى سمع منها النداء فى البقعة المباركة بعينها ، الا ان موسى لما كان رجلا كاملا نبياً ، سمي قوته المفكرة شجرة ذات اغصان و اوراق ، و مريم لما كانت امرأة ناقصة ولية، سماها جذع نخلة غيرذات افنان و اوراق ، فهذا هو الفرق بين الولاية والنبوة، فكلى[٣٦] رزق المعقولات، واشربى[٣٧] من ماء حياة المعارف والحقائق، و قرى عينا[٣٨] بما ستصدر عنك قوة عاقلة زكية، يحيى الموتى ويبرىء الاكمه والابرص باذن الله ، فاما ترين من البشر احداً فقولى : انى نذرت للرحمن صوماً[٣٩] اى اسكتى عما كشف لك من الاسرار والانوار ، ولا تفشى على احد سرك فيحسدوك او يخرجوك ، و يمكرون و يمكر الله والله خير الماكرين[٤٠] كما فعل بمحمد صلى الله عليه واله و سلم ، فان مقام الكامل بين النواقص كما قيل :

ما مقامى بارض نخلة الا   كمقام المسيح بين اليهود

فتفطن من هذا التفسير ، ان القوة العاقلة تلذ من الروح الحيوانى بواسطة القوى المدركة والمحركة ، واشتق اسم عيسى من العيس ، و هو بياض به شقرة[٤١] و هى صفة النفس بعد تعلقها بالقوى .

و ان اردت ان تشاهد صفاء النفس بعد خروجه عن الرياضة نقيا براً تقياً كما خرج من بطن امه عليهما السلام ، فشاهد اخلاق من بشر بمجيئه عيسى ، اسمه احمد صلى الله عليه و اله ، ونعته اوحد افضل الصدور[٤٢] واشرق الاهلة والبدور، الكريم محمد الدر اليتيم ، اكرم اولاد ابراهيم ، لتغنى عن البرهان ، وليس الخبر كالعيان ، صلى الله عليه واله الطاهرين و اولاده المعصومين .

---

٣٦ الى ٣٩ـ مريم ٢٦   ٤٠ـ انفال ٣٠
٤١ـ اى لون يأخذ من الاحمر و الاصفر
٤٢ـ الظاهر نعته : الاوحد الافضل الصدور ،